مجلة شهرية

نــــور المســـيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

يسوع المسيح الغالب

Issue No: 136 عدد:
December 2018 شهر كانون أوّل

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

ميلاد المخلّص

والاستعداد المقدّس

كنيسة القديس نيقولاوس ، في ميرا ليكيا في آسيا الصغرى

القديسة برباره الكلية الوقار

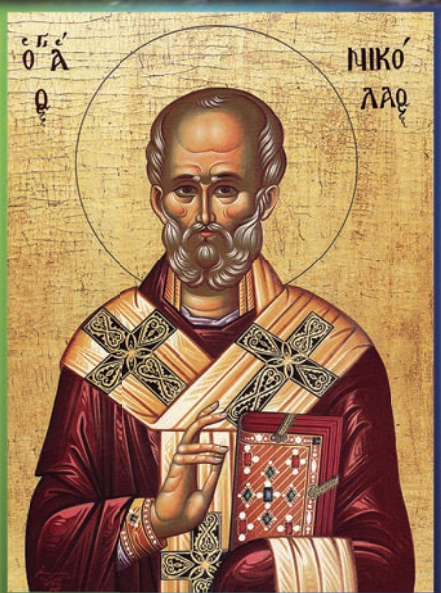

القديس نيقولاوس العجابي
رئيس أساقفة ميرا ليكيا

القديس يوحنا الدمشقي

القديس سابا المتقدّس

دير القديس سابا العامر للروم الأرثوذكس، إنَّهُ مَعين الروميّة

محتويات العدد

2	الأقمار الثلاثة ...
3	كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	من اقوال القديس مكاريوس
4	علامات الملكوت
5	النُّسك في حياة الرهبنة
5	من أقوال القديس اكليمندوس
6	معجزة القديس نيقولاوس
7	العلاقة بين ....
7	تواضع الشيخ صفروني
8	قوّة الصوم
12	تجسُّد الكلمة
15	سرور العالم بميلاد المسيح
16	التفسير المجازي لسفر...
17	حول العِلم والدين
19	القديس إغناطيوس حامل الإله
-	--------
-	--------
21	جزنا بالماء والنار
22	سيرة القديس نكتاريوس
22	----------
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

الأقمار الثلاثة

(باسيليوس الكبير، وغريغوريوس اللاهوتي، ويوحنا الذهبي الفم)

والإلحاد المعاصر

أفشيميوس أسقف أخيلوس

«وقاحة الهرطقات انهزمت»

نشأت ظاهرة الإلحاد في الغرب، وأصبحت حركة على مستوى العالم وكلّفت الحضارة الغربية غاليًا في القرن العشرين. بدأ الإلحاد داخل الكنيسة الغربية كرد فعل من جانب الرجال المتعلّمين على طبيعة تلك الكنيسة التعسفية وقسوتها (**محاكم التفتيش وما شابه**). في الشرق، لم يكن هناك مشكلة من هذا القبيل خاصةً حول العلاقة بين العلماء والكنيسة، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى ثلاثة رؤساء كهنة عظماء نحتفل بهم اليوم.

أ) كانوا رجال تعلّم. لقد كانوا رؤساء كهنة باحثين مع سنوات من الدراسة وراءهم، وكانوا أكاديميين لامعين. **باسيليوس الكبير** درس في جامعة أثينا في تلك الأيام. يقول **غريغوريوس** أن **باسيليوس** كان سيِّد جميع فروع المعرفة, فيما كان الآخرون سادة فرعٍ واحد فقط. لقد كانوا في نفس الوقت علماء وقدّيسين. لقد حلّوا مسألة العلاقة بين العلم والإيمان بطريقة شخصية. من خلال حياتهم، أعلن **الأقمار الثلاثة** أن العلم والإيمان ليسا متناقضين.

ب) لقد خدموا الحقيقة. الكنيسة كما أسَّسها المسيح والرسل هي عالم نور وحقيقة وحياة. من جهة أخرى، يسعى العلماء إلى الحقيقة والنور بطريقتهم الخاصة. خدم **الأقمار الثلاثة** حقيقة المسيحية دون أي تزييف. لقد اختلف العلماء في الغرب، وكان عندهم اعتراضات قوية على لاهوت الكنيسة الغربية السكولاستيكي. أمّا إذا قرأنا تعليم **الأقمار الثلاثة**، فلا شكّ ولا اعتراضات. لأنهم خدموا النور والحقيقة ولا أحد يعارض الحقيقة.

الإلحاد ليس ظاهرة روحية من الشرق. لقد تقدّم الإلحاد كمُنتَجٍ روحي من الغرب في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. في تلك السنوات، لسوء الحظ كان الناس يُلَقَّمون مع التغذية – **المادية والروحية**– التي تم استيرادها من الخارج.

نحن نعيش اليوم في عصر آخر. كانت هناك عودة إلى التقليد الروحي الأرثوذكسي وآباء الكنيسة. لقد اكتفينا «**بالقشور**» المستوردة من الغرب. حان الوقت للعودة إلى بيت آبائنا، للتمتّع بكنوزهم، للاغتذاء وتغذية الناس الذين يعانون الجوع لكلمة ربنا.

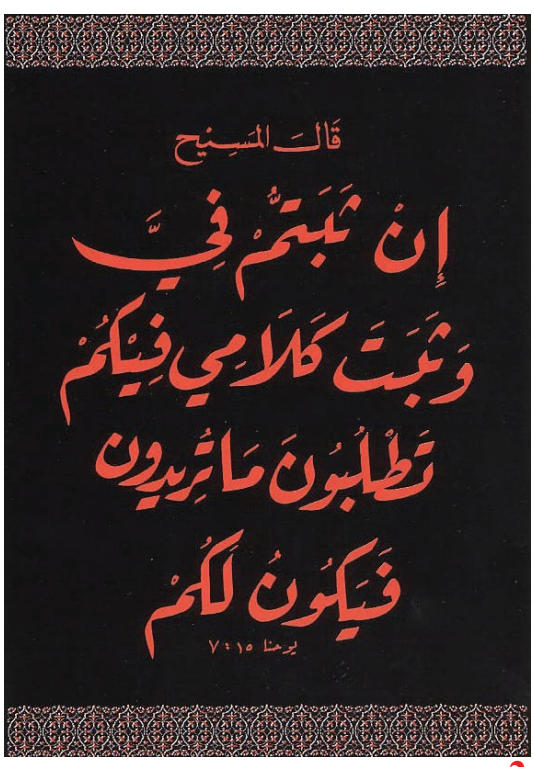

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القديس الرسول يعقوب أخي الرب أول رؤساء أساقفة آوروشليم

«يَعْقُوبُ، عَبْدُ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، يُهْدِي السَّلاَمَ إِلَى الاثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا الَّذِينَ فِي الشَّتَاتِ. اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ.» (يع ١: ١-٤)

وبكلامٍ آخر احسبوه كل فرحٍ أيها الإخوة عندما تقعون داخل التجارب والأحزان المتنوعة، وستفرحون في هذه الأحزان والتجارب عندما تعلمون بأنّ إيمانكم يُمتحن عبر الأحزان، فيُنشئ ذلك صبرًا وقدرةً على التحمل، وليكن هذا الصبر غير متزعزع فيُنشئ ثمار كمالِكم، حتى تكونوا كاملينَ وتامينَ ولا ينقصكم شيء، هذا ما يعلّمه **القديس يعقوب أخو الرب**.

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح،

أيها المسيحيون الزوار الأتقياء

مبارك الله أبو ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي أهَّلنا جميعًا في هذا اليوم البهيّ، وهذا النهار المبارك لكي نعيّدَ لتذكار البار المؤمن شهيد المسيح، القديس يعقوب أخي الرب أول رئيس أساقفة أورشليم.

إن لأبينا القديس يعقوب مكانةً مميزةً في كنيسة المسيح المقدسة وذلك لأن به قد اجتمعت الصفات، أو بالأحرى الرُّتب الثلاثة ”الرسولية“ و”رئاسة الكهنوت“ و”عضوية المجمع“ كما يشهد بذلك ويؤكد عليه مرنم الكنيسة قائلًا: «إنك بصفة تلميذٍ للربّ اقتبلت الإنجيل، وبصفة شهيد لا تُرَدُّ خائبًا، وبصفة أخٍ للإله لك الدالة عليه. وبصفة رئيس كهنةٍ لك حقُّ الشفاعة. فتشفع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا.»

يحثنا القديس يعقوب رئيس الكهنة في رسالته الجامعة أن نواجه بفرحٍ التجارب وهذا «لأَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا.» (يع ١: ٣). وبكلام آخر، إنّ الإيمان الطاهر والأصيل يُظهرُ ويكشفُ من هم أحباء الله من خلال التجارب والمحن، كما يؤكد بذلك **القديس**

ثيوفيلكتوس إذ يقول «بأن التجارب تصيرُ سببًا للفرح لدى القديسين، وذلك لأن التجارب والمِحَنَ تُبرهن وتُظهر قداستهم.»

إنّ الصبر لأجل المسيح والذي يعلِّمُ عنه القديس يعقوب، ليس له علاقة باللامبالاة الفلسفية والتي تُظهر الإنسان الذي يتعرض لهذه التجارب والأحزان كأنه سلبي وغير مضطرب وبدون إحساس. ولكن الصبر لأجل المسيح هو ظَفَرٌ وَتَغلُبٌ على الأحزان غير مُنْقِصَةٍ أو مزيلةٍ شيئًا من شجاعة ونشاط المؤمن، بل على العكس تمامًا تُقوّي وتُشدِّد إيمانه، وتحركه نحو الشكر والعرفان لله وتُكثر من قوته وتُلهبه غِيرَةً ومحبةً لله. وعندما نصبُر بجلادةٍ واضعين في فكرنا بأن الله هو الذي سمح لنا بهذه التجربة، وبكل تجربة «ومهما طالت مدتها». فإن قَبِلْنَاها (أي للتجربة) بطاعةٍ إلى حدٍ لا نفقد فيه سلامنا الداخلي، بل شاعرين بفرحٍ بهذه التجربة حتمًا، سيكون عندها صبرنا عملًا كاملًا وتامًا.

إن هذا العمل الكامل ما هو إلّا اكتساب النضوج الروحي والذي من خلاله سنحصل على المواهب وكمال المسيح الأخلاقي كما يكرز **القديس بولس الرسول**: «إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أفسس ٤: ١٣)

وبحسب **القديس يعقوب**: «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ.» (يعقوب ١: ١٢)

إنّ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» أي الحياة الأبدية في المسيح قد حازَ عليها قديسنا الرسول يعقوب وذلك من خلال استشهاده فأصبح بذلك نموذجًا يُحتذى به في الصبر والطاعة كما يقول بولس الرسول: «لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ.» (رومية ١٤: ١٧)

قد تَذَوَّقَ مُسبقًا هذا البِرَّ والسلام والفرح في الروح القدس جميعُ الذين يعرفون بأن الكنيسة ليست منظمة اجتماعية على الأرض، بل هي جسد المسيح السِّرِيّ كما يقول بولس الرسول «بأَنَّ

الْمَسِيحَ هو رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ.» (أفسس ٥: ٢٣)

إن رئيس الكهنة الذي تكرمه اليوم كنيستنا المقدسة يدعونا لكي نخضع لله، ونطيعهُ وأن نقف ونصدَّ حِيَلَ الشيطان ونقترب من الله حتى يقترب الله إلى قلوبنا «فَاخْضَعُوا للهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ.اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ.» (يعقوب ٤: ٧-٨)

ويقول هذا **القديس يعقوب** متوجهًا بالأحرى إلى أولئك المسيحيين المشكوك بإيمانهم، الذين يشبهون أمواج البحر إذ يرغبُ هؤلاء بأن يمتلكوا في آنٍ واحد الله والمال إذ يعبدون في وقت واحد الله والمال. لهذا فهو يؤكد بشدةٍ بأن «الرَجُلُ ذُو الرَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ.» (يع ١: ٨)

ويفسر **القديس أثناسيوس الكبير** أقوال **القديس يعقوب** هذه إذ يقول: «بأن الذين ذوي نَفَسَيْن "رأيين" هم أولئك الذين ليس لديهم فكرة واحدة ثابتة، بل هم باستمرار يُغَيِّرون أفكارهم فتارةً يُمجدون ويمدحون هذه الفكرة بأقوالهم وكلامهم، وتارة يرفضون ويزدرون بتلك التي مجدوها سابقاً.»

أيها الإخوة الأحبة إنّ الأيام التي نحيا فيها هي «أَيَّامٌ شِرِّيرَةٌ.» (أفس٦:١٦) لهذا فلنسمع القديس بولس الرسول قائلًا: «فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ.» (أفسس ٥: ١٥-١٦) ولنقل مع **القديس يعقوب أخي الرب**: «هَا نَحْنُ نُطَوِّبُ الصَّابِرِينَ.» (يعقوب٥:١١) أي فلنعتبر أولئك الصابرين بأنهم سعداء ومغبوطون.

ختامًا نتضرع إلى القديس يعقوب بما له من الدالة للمسيح بصفته أخٍ للإله، وبشفاعاته بصفته رئيس كهنة يتشفع إلى المسيح إلهنا من أجل خلاص نفوسنا، وأن تتوقف الحروب في منطقتنا ويعم الهدوء والسلام في قلوب الساكنين في هذه الأرض وفي العالم أجمع. آمين

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

من أقوال القديس مكاريوس الأوبتيني

الويل لزماننا: نحن الآن نبتعد عن الطريق الضيق المحزن المؤدي إلى الحياة الأبدية، ونسعى إلى طريق سعيد هادئ. لكن الرب الرحيم يقود العديد من الناس من هذا الطريق، ضد إرادتهم، ويضعهم على الطريق المحزن. بالأحزان والأمراض غير المرغوب فيها نقترب أكثر من الرب، لأنها تذلّنا بالإكراه، والتواضع عندما نكتسبه يمكن أن يخلّصنا حتى بدون أعمال، بحسب **القديس إسحق السوري**.

إن للأفكار التي تُنكِّد علينا وتزعجنا العديد من الامتيازات: إن الاستفزاز للأفكار أو هجومها ليس خطيئة بل هو اختبار لإرادتنا الحرّة ولميلها، إلى الفكر أو لمعارضته. ومع ذلك، وجود توافق وشراكة مع هذه الأهواء يُعتَبَر خطيئة وهناك حاجة للتوبة. مَن لا يملك القوة بذاته لمعارضة الأفكار، يجب أن يسرع إلى الله، يلقي عجزه ويلتمس معونته ومساعدة والدة الإله. عندما يُغْلَبُ شخص ما أمام الأفكار، فهذا يدلّ على أن رذيلة الكبرياء قد سبقتها (للأفكار) وبالتالي عليه أن يكون أكثر تواضعًا.

فيما يتعلق بالصلاة في الكنيسة، أعلمْ أنها أسمى من الصلوات في البيت، لأنها مجموعة كاملة من الناس ترفَعها، وبينها العديد من الصلوات الفائقة النقاوة، وتُقَدَّم إلى الله من قلوب متواضعة يقبلها كالبخور الزكي. ومع هذه الصلوات تُقبَل صلواتنا بالرغم من أنها ضعيفة وعديمة القيمة.

تجنّب صنع الأصنام سواء من الأشياء أو من العادات.

علامات الملكوت
عند القديس يوحنا الذهبي الفم

مَنْ جُرِّبَ من بينكم بتجارب أكثر بعد عُمَّاده، مثل هذا يلزمه ألَّا يضطرب، لقد وُهِبْتُم أسلحة لا لكي تكونوا في راحة بل في جهاد، فالله لن يبعدكم عن التجربة وذلك لأسباب كثيرة:

أولًا: حتى تعلموا أنكم قد صرتم أقوياء ...

ثانيًا: حتى لا تتكبروا بسبب عظم عطاياه لكم .

ثالثًا: لكي يتأكد الشيطان أنكم قد جحدتموه تمامًا ...

رابعًا: لأنه بالتجربة تزدادون قوة .

خامسًا: لكي يكون لكم دليل وجود الكنز الذي لكم ، فإنه ما كان للشيطان أن يقتفي آثاركم ويجربكم إلاَّ لأنه أنكم قد صرتم في كرامة أعظم ومجد أبهى.

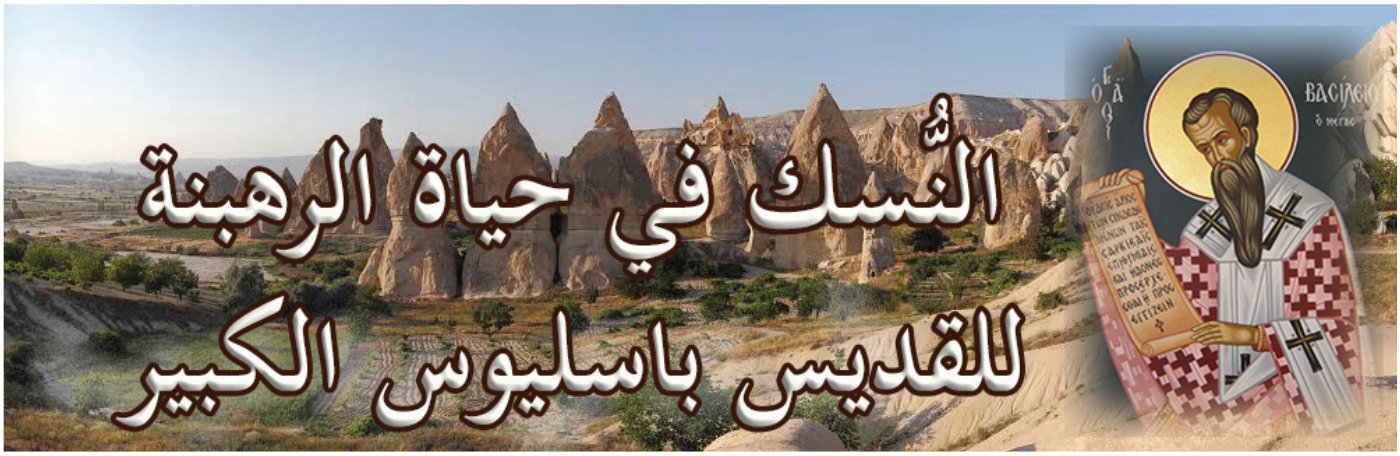

النُّسك في حياة الرهبنة للقديس باسيليوس الكبير

❁ **وَسُئِل القديس باسيليوس أيضًا: «هل ينبغي التواني عن عمل اليد، من أجل الصلاة ؟! وأي الأوقات التي يليق فيها العمل؟ وهل العمل أفضل؟!.»**

فأجاب القديس وقال: (تتمة من العدد السابق)

✞ – وأن نسير مع الأخوة (الرهبان) ونُكَمِّل الطريق بالمزامير والصلوات وبُنيان النفوس. وإذا ما وصلنا إلى الموقع الذي نقصده، فلنقُم أيضًا في موقع واحد معًا، لكي يحفَظَ بعضنا بعضًا، وحتى لا تفوتنا الصلاة في أوقاتها الليليّة والنهاريّة.

✞ – وبالنسبة للقوم الذين يميلون للجدال في البيع والشراء، فليساومهم الأخوة بسهولة، لأنّ الظالمين لا يحبون أن يرشدهم أحد عن أسلوب ظلمهم، أو يشهد عليهم، لأنّهم يتضايقون من التبكيت.

✞ – ولا يُسمح بأن يُباع ويُشترى في كنائس الشهداء (في تذكاراتهم)، وهو أمرٌ غريب، ولا ينبغي أن يمضي أحد من المسيحيين إلى كنائس الشهداء (في يوم تذكاراتهم) من أجل أيِّ شيء آخر سوى من أجل الصلاة فيها فقط، وسماع العظات، ولتذكّر الأتعاب التي قاساها الشهداء، وهم صابرون حتى الموتِ، ولنقتدي بهم وبغيرتهم المقدسة الطاهرة النقية.

✞ – وننجو من غضب الربّ، الذي أظهره على الذين يبيعون ويشترون حول الهيكل، إذ أنّه كَرِهَ التجارة في بيت الربّ، وطرَدَ الذين يبيعون ويشترون فيه، مع ما أظهره من الوداعة وطول الروح دائمًا في كل شيء.

✞ – وينبغي أن يختار كل واحد الصناعة (الحِرفة) التي يريدها، أو العمل الذي تعلّمه في العالم (قبل الرهبنة) ، والذي يليق بكل واحد، وحسب رأي رئيس الدير، لأن الراهب قد مات عن العالم رافضًا وتاركًا رغباته ومشيئاته الشخصيّة، من أجل الخضوع لمشيئة الله، من خلال الخضوع لتدبير رئس الدير، الذي يدبّر أمور الدير بما فيهم الرهبان أيضًا، من الناحية الروحية والمادية على السواء.

✞ – والذي يختار لنفسه كشهوته (لعمل معيَّن) فهو يقصد مجد العالم أو ربح الفضة والمال. أو من أجل الكَسَلِ والتهاون، يختار له شُغلًا خفيفًا سَهلًا. ومن يفعل هكذا، لم يتخلَّص بعد من الآلام الشريرة، ولا رَفَضَ ذاته، لأنّ الهروب من التعب هو علامةٌ لذلك.

✞ – وأن رأى أحدٌ أنه تعلَّم حرفة تفيد المجمع، فلا يتركها. وإذا لم يتعلّم أحد صناعة من قبل، فلا يعمل إلَّا ما يُصرَّح له بها، ويعملها بأمانة.

✞ – والأَصح أن نتعلَّم صناعة واحدة (تَخَصُّص) لنتقنها، بدلًا من أن نُلقِي ذواتنا في صناعات (حِرَف) كثيرة، فلا نقدر أن نُكمِل واحدة منها، لأنّ التنقُّل من صناعة إلى أُخرى يدل على خفة القلب (عدم الصبر) إلَّا ما تدعو الضرورة أحدهم لمساعدة غيره، فإذا رُسِمَ له بذلك فليعمله.

✞ – وعلى المسؤولين عن الأخوة ألّا يُغَيِّروا من صناعاتهم بدون حكمة، وللضرورة فقط، وإذا رأى المدير (المدبّر) أن ذلك صوابًا.

✞ – ولا ينبغي للأخوة التصارع على شيء من آلات العمل، أو يقاومون الرئيس، فلا يُمكنه التصرُّف في استعمال أو بيع أو إعادة أو تبديل آلة، من واحد إلى آخر، أو زيادة أو إنقاص الآلات، وقد منعنا الرب من الاهتمام بذواتنا (مت ٢٥: ٤٠) او بالماديات (مت ٦: ٣١-٣٢).

✞ – ولا يعمل أحد من أجل حاجته فقط، بل يُعطي المحتاجين أيضًا.

من اقوال القديس اكليمندوس الاسكندري

الله المحب الرحوم أطلق بنفسه الجسد من أسره، وحرره من عبودية الهلاك، العبودية المرة المميتة، ومنحه الخلود في الأبدية. بذلك منح الجسد البشري عطية الأبدية المقدسة، فجعله خالدًا غير مائتٍ إلى الأبد

معجزة القدّيس نيقولاوس

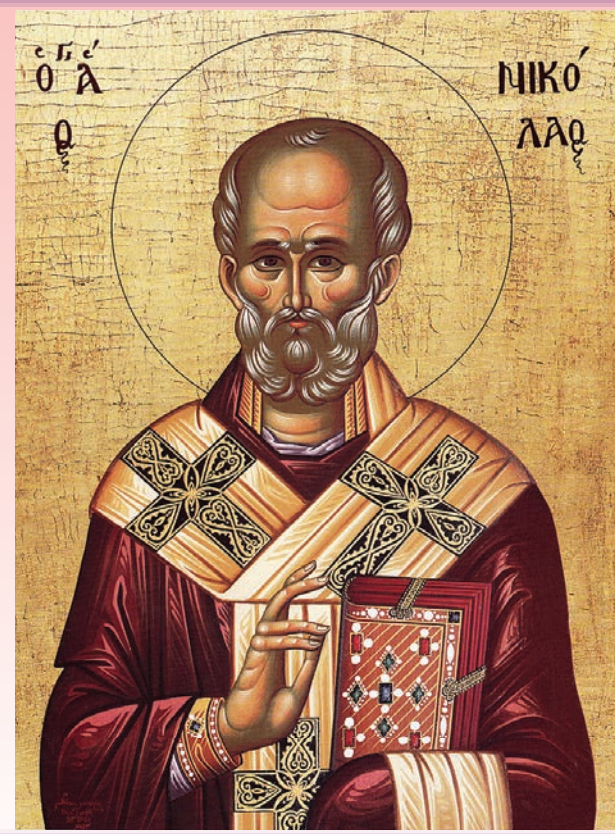

راهبات دير القديس يعقوب الفارسي المقطّع

مساء ليلة رأس السنة من **العام ١٩٥٦** دعت **زويي** سبعةً من أصدقائها لتناول العشاء في منزلها ليقضوا أوقاتهم في الغناء والرقص. راح المدعوّون يتوافدون الواحد بعد الآخر إلّا نيقولاوس خطيب **زويي**.

بدأ الرفاق بالرقص والغناء، وفي لحظة من اللحظات وجدت **زويي** نفسها وحيدة من دون خطيبها، فاعتراها حزن شديد وغضب جنونيّ، إذ كانت تحبّ أن يكون خطيبها إلى جانبها في هذه الليلة لا سيّما وإنّه لم يعلمها عن سبب تأخيره المفاجئ. ومن دون أن تفكّر أخذت **أيقونة القدّيس نيقولاوس العجائبيّ** من على الجدار وهي تقول: «**سآخذ هذا النيقولاوس لأرقص معه**». ذُعر رفاقها لهذا القول، وبدأوا يحذّرونها من عملها هذا قائلين لها بأنّه نوع من التجديف، ولكنّ **زويي** لم تلتفت إلى أقوالهم، بل راحت تستهزىء بإيمانهم «الحيّ» بالقدّيس قائلة: «**إن كان القدّيس عجائبيًّا، كما يدّعون، وإن كان، فعلًا، موجودًا، فليعاقبني**». وبدأتْ بالرقص مع الأيقونة، وما إن قامت بدورتين حتّى حصل ضجيج مفاجئ في الغرفة، وزوبعة هوجاء أطاحت بالستائر، وضوء باهر يعمي أضاء كالبرق.

تحوّل الفرح إلى خوف، وهرب الجميع من الغرفة مذعورين، فقط **زويي** وقفت من دون حراك متسمّرة في مكانها، وجامدة كالرخام مع **أيقونة القدّيس نيقولاوس** الملتصقة بصدرها.

وصل الأطبّاء بسرعة، ولكنّهم رغم محاولاتهم لم يستطيعوا إعادتها إلى رشدها. كلّ الحقن التي حاولوا حقنها بها تكسّرت عندما لمست جسدها الرخاميّ. أرادوا نقلها إلى المستشفى، لكنّهم عجزوا عن زحزحتها من مكانها كما لو كانت قدماها مسمّرتين في الأرض. ولكن رغم كلّ هذا كان قلبها ينبض. بقيت **زويي** على قيد الحياة، غير أنّها عادت غير قادرة على تناول الطعام أو الشراب.

صُعقت الأمّ عندما رأت ما حدث لابنتها، هرعت إلى الكنيسة تمرّغ أرضها بدموعها وهي تطلب من الله أن يغفر لابنتها إثمها، وأن يعيد إليها حيويّتها، ثمّ لجأت إلى أيقونة القدّيس نيقولاوس تطلب منه التدخّل لخلاص ابنتها من هذه الحالة الغريبة التي جرت لها. وبفعل صلاة الأمّ وتضرّعها الحارّ استعادت **زويي** وَعْيَها، وأخذت تطلب هي الأخرى المغفرة من الله وقدّيسه بدموع غزيرة. لم تُشفَ **زويي** تمامًا، إذ كانت كلّ ليلة تملأ الدنيا صراخًا وعويلًا يجعلان الناس يتجمّعون حول منزلها وهم يتساءلون عن سبب هذا الصراخ المخيف.

كانت أمّها تركع إلى جانبها وهي تصلّي، وتصلّي طالبة شفاعة القدّيس نيقولاوس، ولمّا أبلغوا كاهن الرعيّة بالحدث، قال: «صلّوا إلى الذي عاقبها، فهو الذي سيرحمها أيضًا».

ومنذ ذلك الحين بدأ الأطبّاء يتناوبون على زيارتها للتأكّد من نبض قلبها الذي كان ينبض بشكل اعتيادي ومنتظم، كما زارها الكهنة محاولين نزع الأيقونة من يديْ زويي، ولكنّهم أخفقوا في محاولاتهم رغم الابتهالات الحارّة التي كانوا يرفعونها إلى الله وإلى القدّيس نيقولاوس.

بقيت **زويي** على هذه الحالة ثلاثة أشهر حتّى كان **عيد البشارة** حين دخل الغرفةَ شيخٌ وَدُودٌ بلحية بيضاء كالثلج وهو يقول **لزويي** بابتسامة عذبة: «هل تعبت من الوقوف يا ابنتي؟ أتريدين، أيضًا، أن ترقصي معي وأنا شيخ جليل؟ لا تخافي»، ثمّ اختفى. وفي الليلة عينها صرخت **زويي** بصوت عال: «صلّوا صلّوا. لقد أتى وحلّني من وثاقي. نعم، لقد أتى». ولمّا سألوها من تقصد، قالت: «إنّه الشيخ الوقور، القدّيس نيقولاوس ذو اللحية البيضاء».

وهكذا بدأت أعضاء **زويي** تلين، وتمكّن ذووها من نقلها إلى فراشها. ولمّا استفسروا منها كيف استطاعت أن تبقى من دون طعام ١٢٨ يومًا، قالت: «كان الشيخ يأتيني بالطعام، ويزوّدني بالقوة».

ذهبت **زويي** يوم **الفصح المجيد** إلى الكنيسة حيث اعترفت بخطاياها وتناولت القرابين المقدّسة، وفي اليوم الثالث من الفصح انتقلت إلى الربّ لتعيش الحياة الأبديّة برفقة القدّيسين في السماء.

طروبارية القديس نيقولاوس:

قد أظهرتك حقيقة الأحوال لرعيّتك دستورًا للإيمان وتمثالًا للوداعة ومعلّمًا للإمساك أيُّها البارُّ نيقولاوس. فلذلك اقتنيتَ بالتواضِع الرِّفعة وأحرزت بالفقر الغنى. فتشفَّع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا

يا قدّيس الله نيقولاوس تشفّع بنا لدى المسيح الإله

العلاقة بين القديس بايسيوس الأثوسي والشيخ يعقوب تساليكيس

شهادة الأب الراهب يعقوب

كنتُ علمانيًا، تلميذًا في الثانوية الكنسية في **لاميّا**، سنة ١٩٨٦، أحمل اسم يوحنا. كنت أنوي الذهاب إلى الجبل المقدس وزيارة **الشيخ بايسيوس**، ببركة **شيخي يعقوب تساليكس**، لكي أطلب النصح منه حول أن أكون راهبًا أم لا.

لقد كان الشيخ يعقوب يوقّر الشيخ بايسيوس كثيرًا، وعندما قصدته، أعطاني شيئًا لأوصله كبركة وقال لي: «قلْ للشيخ بايسيوس، عندما تصل إلى تسالونيكي، بأن عليه أن يأتي ليرانا. فمن جهتي يا يوحنا، صعب عليّ أن أذهب لرؤية الشيخ، لأن عليّ أن أعبر جبالًا ووديانًا والبحر، فيما صحتي لا تسمح بذلك، هذا كي لا أذكر أن الشيخ بايسيوس قديس أمّا أنا فخاطئ وغير مستحق». من ثمّ أعطاني خمسة آلاف دراخما لأضيء له شمعة في كنيسته.

في الجبل المقدس، التقيت الشيخ أمام بابه. ما أن رآني، وقد كنت برفقة أحد الآباء الرهبان، قال لي: «أهلًا، جيد أن نراك».

بعد أخْذِ البركة، قال لي: «إذًا، ماذا تظن؟ أسنسيمك راهبًا؟» أجبته: «أبونا، عندي مشكلة مع أهلي». فقال لي: «اسمع ما أقوله لك، اترك أهلك يبكون لشهر أو اثنين، حتى لا تبكي أنت إلى الأبد، وقبل أن تفقد الكنز.» كان يشير بالكنز إلى الشيخ يعقوب، وهذا كله من دون أن أكون قد فاتحتُه برغبتي في أن أكون راهبًا.

وإذْ أردت أن أقول شيئًا، قاطعني: «معك بركة الأب يعقوب من دير القديس داود في آفيا. يا بنيّ، هؤلاء هم القديسون الذين يكافحون اليوم ويصلّون بتواضع ومحبة. أنا لا أستحق أن أرى عملاق الأرثوذكسية، ولقاؤه أيضًا بعيد جدًا، وهذا يتطلّب جهادًا والكثير من الجهد. لأن الله منحنا المحبة ونحن نتواصل روحيًا.»

فسألته: «أعندي بركة بأن أسجد في كنيسة قلايتكم؟» فأجاب «لا ليس ضروريًا.»

فأجبته أنها للتبرّك، فقال لي: «لا يا بنيّ، قد يكون الشيخ يعقوب أعطاك خمسة آلاف دراخما، لكن ماذا بعد، ماذا أعمل بها وأنا راهب؟»

لم يتركني أسجد. أعطاني مسبحة صلاة وصليبًا صغيرًا لأوصلها إلى الشيخ.

عند عودتي إلى الدير استقبلني الشيخ يعقوب بفرح. أعطيته البركة من الشيخ بايسيوس فبادرني بالقول: «الخمسة آلاف دراخما التي لم يقبلها الشيخ بايسيوس، ولم يتركك تسجد وتضعها في كنيسة القلاية، خذها معك لمصاريفك في مدرسة لاميّا».

أصبتُ بالذهول وسألته: «يا أبونا، كيف تعرف ذلك؟» فأجابني هامسًا في أذني: «يا بنيّ، نحن نتواصل روحيًا.»

تواضع الشيخ صوفروني وفكاهته

الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس

عندما يقترب المرء من الشيخ، يشعر بما عنده من تواضع عميق جدًا، تواضع لم يكن نتيجة جهود التقشف بحد ذاته، ولا كان محاولة للظهور بمظهر المتواضع، ولكنه كان تغييرًا وتبدلًا في كيانه. لطالما ردَّد هو نفسه كلمات **القديس سلوان** الذي قال أيضًا أن التواضع النسكي هو شيء، وتواضع المسيح الذي يظهر بتجلٍ كاملٍ وكيان الإنسان وتألهه هو شيء آخر. لهذا السبب، ترون الشيخ صوفروني في حالة جيدة، حتّى في لحظات مشاركته بالمزاح لأنّ فكاهته هادفة جدًا.

لهذا، عند لقائه، لا يستطيع المرء أن يفهم من الصفات الخارجية والأخلاقية أنه قديس. هو شخصيًا لم يكن يرتاح للإحساس بأن البعض يقاربونه كقديس. لذا فكان يلجأ إلى الفكاهة، ويحكي قصصًا متنوّعة، ويخلق جوًّا لكنك ترى فيه عمقًا. ففكاهته لم تكن من النوع الذي يزعجك، أو الذي يخلق وضعًا مشوّشًا مبعثرًا، أو ينهمر كتسلية للفكر. على العكس، حتّى نكاته كانت ذات عُمق عظيم. وبالنهاية، في كل اللحظات التي يكون المرء قريبًا من الشيخ، حتّى عندما يهب الله للإنسان أن يمشي مع الشيخ، ويتحدّث إليه ويضحك معه، يفهم المرء أن كل هذا ينبع من نفس وقلب رجل قد تجلّى بشكل كامل. لهذا السبب، حتّى نكات الشيخ وفكاهته الرفيعة تلمس الإنسان بشكل شخصي.

قوّة الصوم

القديس غريغوريوس النيسي

القديس غريغوريوس النيسي يستمر في عظته السابقة فيقول: لقد وبَّخنا منذ يومين تلك اللذة التي تتعلق بالفم والبطن، وتحدثنا عن منفعة الامتناع عن أكل اللحم، وشرب الخمر الذي يُسبب الضحك، والذي يؤدي إلى الانغماس في الملذات الحسية، والشهوة التي تعقب الأكل الكثير والإفراط في الشرب. لقد تكلمت في السابق بما يكفي عن هذه الأمور، وسلوككم يؤكد أنكم قد التفتم لمشورتي، وبما أنكم قد احتفظتم بتعاليمي السابقة في القلب، تعالوا بنا الآن ننتقل إلى تعاليم أكثر تقدمًا.

الصوم له تأثير روحي إذ يجعل الإنسان يرفض الشرّ، فهو وسيلة يمكننا بها ضبط انجذابنا للطعام. أذن فلتصُم عن الشرّ، وآمتنع عن الشهوات غير النافعة، ولا تطلب الربح من أي سلوك منحرف، وآذبح جشع محبة المال، ولا تقتنِ لك ثروة بالقوة والاغتصاب.

هل تعتقد أن هناك فائدة من الامتناع عن أكل اللحم، إذا كنت تؤذي أخاك؟ نفس الشيء ينطبق على سلوكك الظالم تجاه الفقراء، ما أهمية هذه التقوى التي تُظهرها بشرب الماء فقط، إذا كنت في نفس الوقت تخطّط للضرر وتشرب دم الظلم؟

إن **يهوذا** صام مع **الأحد عشر رسولًا**، ولكنه لم يُحجِمْ عن الجشع وفقد خلاصه بالرغم من صومه. والشيطان أيضًا الذي لا يأكل (فالكائن الروحي لا جسد له) فقد كرامته بسبب التعدي – لا أحد من الشياطين يأكل أو يشرب بإفراط، ولا يدان بسبب تعاطي شراب مؤثر (لأن طبيعتهم غير الجسدية ليست في حاجة إلى غذاء) – ومع ذلك فهم يسرعون في الهواء ليلا ونهارا كخدام متحمسين يحتالون ضدنا. ولكن إذا وحَّدنا أنفسنا مع الله، ورفضنا تعدياتهم فإنهم يبتعدون بعيدًا مملوئين غيرة وحسدًا.

ينبغي أذن على المسيحيين أن يتدرَّبوا على محبة الحكمة، ويجب على النفس أن تهرب من الضرر الناتج من فعل الشرّ. إن إظهار الاعتدال فيما يتعلق بشرب الخمر، يجعلنا نتجنب السقوط في الخطيئة. أنني أؤكد بشكل عام أن لا شيء مما نتناوله إن كان ماء أو زيتًا أو أي غذاء آخر – من غير دم – يمكنه أن يشابه غذاء الروح، فالغذاء له مظهر خارجي وتكوين داخلي، أما الصوم فقد تعيَّن من أجل نقاوة الروح. إن كان الشخص ينجس نفسه باختياره، وبأفعال أخرى مشينة فلماذا نضيع أوقاتنا في شرب ماء فقط ؟ ما هي الفائدة من صوم بدني ما لم يتنقَ العقل؟ إن مركبة خفيفة الحركة تجرها أربعة خيول ليست لها فائدة بدون لجام. ما هي المنفعة من سفينة سريعة ما لم يوجِّهها مدير دفةٍ رزين؟ إن الصوم هو أساس الفضيلة، فكما أن أساس البيت وعارضة قعر السفينة ليس لهما فاعليةٌ ولا نفعٌ إن لم يكن قد تم تشييدهما بمهارة وصلابة شديدة، هكذا التقشف هو غير كافٍ إن لم ترافقه القيم الأخلاقية اللائقة.

فَلْنَجْعَلِ خوف الله يُعلِّم اللسان أن يتكلم في الوقت المناسب، ولا يتفوه بألفاظ الغرور. إن فعلنا ذلك سوف نعرف الوقت المناسب، والقدر المناسب للكلام، وما هي الكلمة الضرورية والإجابة الملائمة، ونتعلم أيضا ضرورة الحديث بتواضع، ولا نتحدث بتبجُّح بل نستخدم لغة مهذبة. يمكننا أن نتحكم في هذا العضو الصغير (اللسان) بإدخال لجام للفم، آنذاك سوف لا يتكلم بعد بجموح وبأسلوب مُنفلت، أجعل الفم ينطق بالتمجيد لا بالافتراء، أجعله يُرنِّم لا أن يلعن، ينطق بالتسبيح لا أن يثرثر، أجعل اليد الطائشة (التي تعتدي على الغير) تُكبَحُ بشدة بواسطة تذكر الله، لِنَصُم إذن لأجل هذه الغايات، لأنَّ حَمَلَنَا المسيحَ قد شُتم ولُطِمَ على وجهه، وعُومل بكل ازدراء، وسُمِّر على الصليب.

يجب علينا كتلاميذ للمسيح ألَّا نُظهر (مع الصوم) نفس السلوك الخاطئ الذي كان **للشعب اليهودي قديمًا**، لأننا لو فعلنا ذلك ستنطبق علينا كلمات اشعياء: «هَا إِنَّكُمْ لِلْخُصُومَةِ وَالنِّزَاعِ تَصُومُونَ، وَلِتَضْرِبُوا (**المسكين**) بِلَكْمَةِ الشَّرِّ.» (أش ٥٨: ٤)، لكن لنتعلم الأعمال النقية الخاصة بالصوم من هذا النبي: «أَلَيْسَ هذَا صَوْمًا أَخْتَارُهُ: حَلَّ قُيُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عُقَدِ النِّيرِ، وَإِطْلاَقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا، وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ. أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ، وَأَنْ تُدْخِلَ الْمَسَاكِينَ التَّائِهِينَ إِلَى بَيْتِكَ؟س أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك» (أش ٥٨: ٦،٧)

الآن هو وقت مناسب لكي تكونَ غيرَ غافلٍ عن المحتاج والعريان، لأن هناك حشدًا من المقيَّدين على أبوابنا، ليس هناك أي نقص في

الغرباء والطوّافين، والأيدِي الملتمسة للإحسان على الدوام ممتدة، فكل هؤلاء البشر مسكنهم في العراء، والنُزل والساحات العامة والطرقات ومواضع الأسواق المهجورة، يسكنون الكهوف مثل البوم والغراب الأَسْوَدِ، ويرتدون ملابس رثة، يتنبه لهم المُزارع ويعطف عليهم. إن سقط في طريقهم طعام ينقضُّون عليه، تُقدم لهم الينابيع مياهًا للشرب، وتصير جحور الأرض لهم مخازن، فهم لا يتركون شيئًا يفقد بل يحفظونه بحرص شديد. رُكَبٌ متلاصقة معًا تُشكل مائدة وسطح الأرض هو فراشهم. نهر أو بركة موهوبة مجانًا من الله تصير لهم حمامًا بلا إنشاء. لم تكن حياة ذاك الذي يطوف في الحقول هي هكذا منذ البداية، بل أتت فقط نتيجة للنكبات والعَوْزِ.

الشخص الذي يصوم هو مُزوَّد باحتياجات الحياة الضرورية – هذا مبرِّر كافٍ لكي نكون كرماء نحو أخوتنا – أعطِ الفقراء أي شيء تستهلكه بجشع. أجعل الخوف المستوجب لله يقدم لك المكافأة. تدرَّب على ضبط النفس بشكل صحيح مُظهرًا تَعَقُّلًا أمام الحالتين المتعارضتين: حالة شبعك الزائد، وحالة جوع أخيك. إن الأطباء يؤدون عملهم بطريقة مماثلة، يُفرِغُونَ من بعض المرضى سوائل ويعطونها لمرضى آخرين حتى يحافظوا بالتفريغ والإضافة على صحة الاثنين. أستمع جيدًا إلى هذه النصيحة الحسنة. أجعل الصواب يفتح أبوابك على مصراعيها، أجعل نصيحة المعوزين تؤثر في الأثرياء. لا تُغنِ المعوزين بكلام الجدل بل أعطِ المُحتاج من وفرتك.

علاوة على ما ذكرناه الآن، هناك الكثير من الفقراء والمُعدَمين، ليتحمل كل منا بعض الآلام من أجل مساندة القريب. لا تجعل شخصًا آخر يأخذ كنزك، وعانق المِحَنَ كأنها ذهب. وكما تهتم بصحتك الشخصية، وتوفر الأمان لامرأتك وأولادك وخدمك وكل من في بيتك، أحتضن أيضا آلام الفقراء.

إن الشخص المحتاج والمريض في نفس الوقت، هو شخص فقير على نحو مضاعف، أما الأشخاص البائسون الذين لهم صحة جيدة، يستطيعون أن ينتقلوا من باب إلى باب، ويذهبون بكل حرص إلى الأغنياء، ويتوسلون صدقةً من المارة عند تقاطع الطرق، ولكن أولئك المبتلون بالمرض مقيدون في فراشهم ومطروحون في الزوايا كما طُرِحَ **دانيال** في الجُبِّ، هم يتطلعون إلى رأفتك واهتمامك بالفقراء، وكأنهم ينتظرون **حبقوق** (دا ١٤: ٣٢). بذرة الرحمة تنتج ثمرًا كثيرًا، أزرعها وستملأ بيتك بالوافر من النِّعَم.

لعلك تقول « **أنا فقير**» – بالرغم من ذلك أعطِ مِمَّا عندك. لا يطلب الله منك ما يفوق مقدرتك. أعط لواحد خبزك وشرابًا من الخمر وأعطِ لآخر ثوبًا. هكذا بلايا شخص واحد تزيلها صدقات الكثيرين. **موسى النبي** لم يتقبل أموالًا لأجل خيمة العبادة من فرد واحد بل تقبلها من الجميع (خر ٣٥: ٥،٦)، فالبعض أحضر ذهبًا كثيرًا وآخرون أحضروا فضة، بينما الفقراء قدموا جلودًا أو شعر ماعز. ألم ترَ كيف أن تقدمة الأرملة فاقت تقدمة الرجل الغني؟ فهي أعطت كل ما عندها وَكُلَّ معيشتها (مر١٢). لا تحتقر تقدمة الفقراء كأنها لا تليق، ضعها في الحسبان، وتأكد أن قيمتها ثمينة. إن مخلصنا آتخذ هيئة إنسان، أحب البشر وأنعم علينا بشخصه، لكي يُخزي الشخص غير المُبَالي وأولئك الذين يشمئزون من الفقراء.

إن الخير الذي نتوقعه محفوظ لنا، وحراس ملكوت السموات (الملائكة) يفتحون أبواب الصلاح الإلهي (للأبرار) وأمام فاعلي الشرّ الأردياء يغلقونها، هم جديرون بالثقة في دفاعهم (عن الأبرار) ويقدمون أعذارًا عنهم، وهم أيضًا يوجِّهون اتهامات بكل شدة (للأشرار) لا بالكلام، لكن بالدلائل، إذ إن السيِّد المسيح يفحص قلوب الجميع ويعلن على الملأ حُكْمَهُ بمنتهى الوضوح.

إن الوعظ المقدس الذي سمعتموه كثيرًا يَصِف **الدينونة المخيفة**، ومن خلاله نرى ابن الإنسان آتيا من السماء، وماشيًا على السحاب، كأنه أرض، بينما تلازمه أعداد لا تُحصى من الملائكة (مت ٢٥). وبعد أن يجلس الملك على كرسي مجده، تنقاد إلى مَحْضَرِهِ كل قبيلة وكل شعب تحت الشمس، فتقف كافة الجموع أمام كرسي الدينونة، ثم يقسمون لمجموعتين: أولئك الذين عن يمين السيد المسيح، يُدعون خرافًا أما الذين عن يساره فَيُدْعَوْنَ جِدَاءً – فأسلوبنا البشري يُمكننا من رسم هذه المقارنة – هناك يتكلم الدَّيان، ويُجيب الملك على أولئك الذين كانوا كُرماء ، ويكافئ الأبرار الذين سلكوا بالمحبة أثناء حياتهم بملكوت السماوات، بينما يدخل الأشرار إلى النار الأبدية.

«حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ.وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلاَتٍ.أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا، وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ.وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ.فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ! فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ.فَقَالَتِ الْجَاهِلاَتُ لِلْحَكِيمَاتِ: أَعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ. فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ قَائِلاتٍ: لَعَلَّهُ لاَ يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ، بَلِ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ. وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَعْنَ جَاءَ الْعَرِيسُ، وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ. أَخِيرًا جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى أَيْضًا قَائِلاَتٍ: يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا! فَأَجَابَ وَقَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ.»
(متى٢٥: ١-١٢)

الكتاب المقدس شرح كل هذا بتدقيق باستخدام مثال «**المحكمة**»، حتى نتعلم كيف يكون السَّخاء في الأعمال الصالحة. الحياة الملائمة هي الحياة التي تصير فيها أُمًّا للفقراء، مُعلمًا للأغنياء، مِثالًا للشباب، مَلاذًا للمسنين، كَنزًا للمحتاجين، مَنفذًا للمُعدَمِين، وَسندًا لجميع الذين في محنة من كل الأعمار. وكما يستدعي صوت البوق جميع المتنافسين في مدرسة المصارعة، ويحرك طموحهم لنوال الجوائز، كذلك أيضًا عَمَلُ الرحمة يستدعي الجميع، يُظهر الكرم تجاه الذين في مِحْنَةٍ، يُجنِّب البلايا وفي نفس الوقت يُقدِّم الإغاثة. عمل الرحمة هو بالحقيقة أسمى أنواع التمجيد، إذ أنه ترافق مع الله، محبوب لصلاحه، وبه تظهر قرابتنا له، فالله هو أصل ومنبع كل فضائلنا وأعمالنا الصالحة المقدمة للجميع.

خلق الله الأرض وجمال السماوات ودفء الشمس والبرد، ووضع الأوقات بشكل منظم جدًا – مع أنه لا يحتاج هذه الأشياء – ويعمل على الدوام من أجل منفعة الإنسان كمُعيل له، فهو الذي يزرع كل شيء في وقته، ويرويه بشكل العجيب، إذ يعطي بذرًا للزارع ويُنزل المطر من السحاب، ويسكبه بوفرةٍ على الحقول – كما قال أشعياء النبي – وعندما يثمر الحصاد ويظهر النبات ترحل سحب السماوات – التي كانت معلقة فوقنا – وتمدُّ الشمس دفأها بأشعة شديدة حتى تنضج البراعم الجميلة. يوفر الله للإنسان الطعام بِغِنًى، وينمي الكروم، ويزود كل أنواع الحيوانات أيضًا بالشراب في الوقت المناسب. هو يمنحنا أيضا جلودًا صوفية للحماية وتغطية أقدامنا. أنك تستطيع أن ترى من خلال تقديمك الغذاء والشراب للجياع، وتوفيرك الملابس للعُراةِ أن الله هو خالق كل هذه العطايا.

إن كنت ترغب أن تفهم كيف يشفي الله الشخص المُبتلَي بالشرِّ انتبه أذن لهذه الكلمات: من هو الذي علَّم النحلة أن تعمل بالشمع وتصنع عسلًا؟ من هو الذي يقطر زيتًا من الصنوبر والضراوة وشجر الصمغ؟ من هو الذي يخفِّف النبات العطري المستورد من الهند؟ من هو الذي أوجد الزيت بواسطة مجهود جسدي شاق؟ من هو الذي يميز الجذور والأعشاب وَيَعْلَم أنواعها؟ من هو الذي اخترع ببراعة أدوية الشفاء؟ من هو الذي يفجِّر ينابيع مياه دافئة من الأرض، وجعل المياه الباردة والدافئة تتدفق من أجلنا لتبديد الجفاف والحريق؟ يمكننا الآن أن نستعير كلمات باروخ المناسبة : «اهتدى (الله) إلى كل طريق للمعرفة وجعله ليعقوب عبده وإسرائيل حبيبه» (باروخ ٣٧:٣). كذلك المهارات التي تتعلق بالنار، وما لها علاقة بالمياه والتقنيات الأخرى العديدة، كلها مُعَدَّةٌ لخدمتنا بطرق كثيرة. الله أذن هو منبع وأصل كل سخاءٍ، وهو الذي يُسدِّد كل احتياجاتنا بِغِنًى.

إن الكتاب المقدس يعلِّمنا أن نُحاكي الرب الخالق بكل غيرة، بالقدر الذي يستطيع فيه الكيان القابل للموت أن يضاهي قداسته وخلوده، لكن حينما نستولي على الأشياء لأجل مُتعتنا الشخصية، ونختارها لأجل نهايتنا ونختزنها بأنانية، فإننا بذلك نظهر خِزيًا. نحن لا نُظهر أي اهتمام بالمصابين، ولا نُقدِّم عونًا للفقراء. ما هذا السلوك المخزي !

إنسان يرى إنسانًا آخر يتضور جوعًا، ويفتقر إلى الحافز الذي يدفعه لسدِّ رَمَقِهِ!. مثل هذا الشخص الذي لا يُعطي الآخرين لا يهتم بأمنه الخاص أيضًا، فهو للأسف يترك النبات سريع العطب أن يجف من نقص المياه، ومع ذلك لا يعطيه للمحتاج، وكما أن المياه في فصل واحد للربيع تسقي حقولًا كثيرة، كذلك أيضًا كَرْمُ عائلة واحدة يكفي لمساندة الفقير، أما الإنسان ذو **الطبع البخيل والحقود** فيشبه حجرًا واحد يَصُدُّ جريان مسار المياه.

يجب ألَّا ننشغل بالاهتمامات الأرضية، علينا فقط أن نعيش من أجل الله. إن الطعام يُعطي لذة بدخوله من جزء صغير من الجسم أي من الحلق، ومن ثم يدخل إلى المعدة ثم ينحل، ويخرج من الجسم (متى ١٧:١٥). أما الرحمة والرأفة فهما صفتان محبوبتان تخصان الله، وعندما يقيمان في شخص فإنهما يؤهِّلانه ويختمانه بالاقتداء بالصلاح، فنجلب إلى الحياة صورتنا الأصلية غير الفاسدة التي تتجاوز تخيُّلنا.

ما هو ذلك الذي نجاهد من أجله؟ (أنها الحياة الأبدية)، إذ إننا بملءِ الرجاء نتوقع الفرح العجيب، حينما نخلع هذا الجسد الذي يسودُهُ **الفساد** ونلبس عدم الفساد ، ونحظى بهذه الحياة المباركة الأبدية غير القابلة للفساد التي لا يمكن لنا الآن أن ندرك أفراحها وبهجتها.

أنت يا من أَنْعَمَ عليك الله بالحجة والعقل لكي تفسر الأمور الإلهية لا تَنْجَذِبْ إلى ما هو **زائل**، أضبط حياتك بالاختيارات الحكيمة. علينا أن نخصِّص نصيبًا للفقراءِ الذين يحبهم الله، لأن ما نملكه ليس لنا وحدنا. الله أبونا كلنا هو الذي يملك كل شيء، ونحن جميعًا أعضاء ننتمي إلى جنس واحد. أنه لأمرٌ رائعٌ جدًا أن يقتسم الأخوة أفضل ميراثهم بالتساوي، فلو حاز أخ واحد على ثروةٍ ما فبقية الأخوة أيضًا سوف ينتفعون. إنَّ من يتمنَّى أن يكون سيدًا على كل شيء ويستثني بقية الأخوة من الثُلث أو الخُمس فهو **طاغية مستبد، بربري عنيد أو وحش لا يشبع**، يبتهج بالتهامه الطعام وحده دون غيره، أو بالأحرى هو أكثر قسوة من أي وحش. الإنسان الشَّرِه لا يسمح لأي شخص آخر أن يشاركه ثروته، يشبه الذئب الذي ينضم إلى مجموعة ذئاب أو إلى مجموعة من الكلاب ملتفة حول جسد تمزقه إربًا. الطعام باعتدال هو كافٍ. لا تسقط في بحر الجشع الذي لا يُشبع. إن البحَّار عندما يكون في موقف خطير لا يدمر سفينته على

الصخور المغمورة بل يفلت من هذا الخطر الرهيب، لأنه إن سقط فيها لا يستطيع أن ينجو أبدًا.

استعمل ما تقدمه لك هذه الحياة ولا تُسِئْ استعماله – بالتوافق مع ما علَّمكم به **القديس بولس**، وَجِّه نفسك للتَّمَتُّع بالقدر المناسب، ولا تأخذ متعة من عمل غير لائق، وتجنب نفس المصير الذي يلحق بالحيوانات والوحوش والطيور والأسماك سواء كان سهلًا أو صعبًا للحصول عليها، وان كانت ذات قيمة ثمينة أو ضئيلة. وكما أن الجهد اليدوي مهما كان كبيرًا، لا يستطيع أن يسد بئرًا عميقًا، هكذا أنت لا تقدر أن تملأ البطن بالذهاب للصيد. في تفتيشنا عن الملذات نحن لا نترك حتى أعماق البحار لتبقى هادئة، لا نذهب فقط وراء الأسماك بل نستخرج كائنات حية أخرى من الأعماق، ونخرجها للأرض والهواء، فيظهر هيكلها العظمي الصغير، ونصطاد قنفذ البحر، والحبار الزاحف والكائنات ذوات الأرجل الكثيرة الملتصقة بالصخور، والقواقع الصغيرة من الأعماق وكل نوع من الكائنات البحرية. نحن من أجل جشعنا نوظف كل وسيلة حتى نخرج هذه الكائنات ونحضرها للنور.

ما هي عواقب هذا التنقيب المتواصل الذي يهدف إلى إمتاع الذَّات؟ ينتج عنه **الإثم بالضرورة**، فهو يدخل كالمرض ويُخرِّج أي شيء صالح متبقٍ. فالأشخاص الذين يبسطون مائدة مليئة بكل المباهج الحسيِّة هم مرغمون أن ينشئوا منازل رائعة، ولا يدَّخرون شيئًا في سبيل اتِّساعها وتجميلها. هم مُغرَمون بمواضع الاسترخاء والملابس الملونة الزاهية، ومتلهفون على الأثاث المنزلي، ويزينون موائدهم بكل نوع من الزخارف الفضية – البعض منها مصقول بدقة والبعض الآخر منقوش بمهارة – لكي تقدم متعة للعين كما للحنجرة عند سرد قصص حول كيفية صنعها – أوعية وحوامل ثلاثية القوائم، أوعية مياه وأقداح وأطباق طعام وكؤوس متعددة – وأيضًا تضم موائدهم ممثلين وعازفين على القيثارة، وخطباء فُصحاء، ومغنين رجالًا ونساءً وراقصات، وكل نوع من الأداء الفاسق، وفتية مخنَّثين بِشَعْرٍ طويل **وبنات وقحات**. خلاعتهم تجعلهم أخوات **لهيروديا** التي قتلت **يوحنا المعمدان**، بل تقتل القداسة بداخل كل منا، وتقتل العقل المحب للحكمة.

بينما تحدث هذه الحركة داخل البيت، نجد في الخارج أخوة لعازر بلا عدد يجلسون على الأبواب، البعض مُبتلون بقروح والبعض فاقدو البصر، والبعض محاصر بأقدام كسيحة بينما البعض الآخر يسحبون أنفسهم بصعوبة إذ ليس لهم أطراف. هم يصرخون لكن لا يلتفت إليهم أحد، فصوت الموسيقى يغمرهم بأغاني المطربين، بالإضافة إلى كثير من الضحك المثير. إن أحدثوا ضجيجًا على الباب يقفز البوَّاب وبقسوة يطلق عليهم الكلابَ فتصيبهم بجروح وضربات. ثم ينصرف أصدقاء المسيح القانعون بوصاياه، وبدلًا من الحصول على الشبع بخبز ولحم يحصلون على اعتداء وضرب، أما في داخل البيت فهناك أشخاص أغنياء يشرعون في أعمالهم، وآخرون – إذ يُشبهون السفن المحملة بحمولة زائدة – يتقيئون، بينما أشخاص آخرون يرقدون على المائدة وكؤوسهم بجوارهم. هنا تكمن **خطيئة مزدوجة من الخزي**: طرف ثَمِلٌ تمامًا وفي نفس الوقت طرف بائس جائع مطرود.

إن كان الله يلاحظ عن قُرب هذه الأشياء فكيف ترى الحصة الزهيدة المخصصة للفقراء؟ أنت تتعجب لماذا يحدث هذا وتستنكر حدوثه لأن الإنجيل المقدس يشهد ضدّ كل هذه الأمثلة السيئة.

الصياح والأنين من الأعماق يزداد، والله يلاحظ هذه الأعمال الشرِّيرة التي تخرج من مثل هذه الهوَّة الكريهة. هناك مثال آخر يحكم الله فيه على شخص بموت مفاجئ، لأنه أراد أن يحوز على وجبته الصباحية (المستقبلية بالاكتناز في المخازن) مع أنه في المساء (أي نهاية حياته)، إلا أنه لم يرَ أشعة الفجر (لو ١٢: ٢٠).

أما أنت **كإنسان فانٍ قابل للموت** لا تبتهج بالمتع الدنيوية وترفض الإيمان بالآخرة، إذ قد شابهنا أولئك الذين يسعون لمداهنة الجسد بكل وسيلة ممكنة، مثل هؤلاء هم أسياد بلا ورثة وملوك يسود نفوذهم على الأرض فقط. يجب علينا أن نكون حريصين جدًا على الحصاد، ونتطلع بشوق لفرح الحصاد ونحن في زمن الغَرْسِ. إننا نَغْرِس شجرة ونتوقع ظلال فروعها الرفيعة، وننتظر الثمر الوفير من شتلات أشجار الزيتون، وعندما تنضج هذه النباتات في الخريف ويقترب الموت في الشتاء، لا يتبقى بعد (على الحصاد) سنوات عديدة بل ثلاثة أيام أو أربعة فقط.

لنفكر مَلِيًّا أذن في **حياتنا العابرة سريعة الزوال**، وفي طبيعة هذا الزمن غير المستقرة التي تشبه النهر المندفع الذي يجرف كل شيء أمامه **للدمار**، حتى ما نكمل هذه الحياة الفانية والقصيرة بدون معصية، وحيث أننا معرضون للأخطار في كل ساعة يجب أن نكون **مستعدين دائمًا للوقوف أمام الديان العادل**.

إن صاحب المزامير المبارك يعطي صوتًا لهذا الشعور، راغبًا في معرفة نهاية حياته مُسبقًا. فهو يتوسَّل إلى الله لكي يُعْلِمَهُ عدد الأيام المتبقية له حتى يكون مستعدًا للموت، ولا يكون مكروبًا – كمسافر غير مستعد – في غمرة رحلته والمشاكل المرتبطة بها : «عَرِّفْنِي يَا رَبُّ نِهَايَتِي وَمِقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ، فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ. هُوَذَا جَعَلْتَ أَيَّامِي أَشْبَارًا، وَعُمْرِي كَلاَ شَيْءَ قُدَّامَكَ.» (مز٣٨: ٤-٥).

أنعِم ٱلنظر في تكوين النفس الصالحة وكرامتها الملوكية، وتأمل في **ملك الملوك ورب الأرباب** ، وٱسعَ أن تحيا بحسب الوصايا وأن تسلك فيها حسنًا ، حتى ننال جميعا – بمسلكنا هذا – الحياة التي لا عيب فيها في تلك المدينة السماوية، بالنعمة والمحبة التي لربنا يسوع الذي له المجد إلى الأبد آمين .

وَلَا تَمْشِ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضُعًا
فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هُمْ مِنْكَ أَرْفَعُ
فَإِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ وَخَيْرٍ وَمَنْعَةٍ
فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمُ مِنْكَ أَمْنَعُ

ملخص كتاب « تجسد الكلمة»
للقديس أثناسيوس الكبير

خلقنا على صورته ومثاله : الله خالق وصالح، خلق الله الإنسان من العَدَم، على صورته ومثاله، وكان قصده أن يبقى الإنسان فى سعادة وفي غير فساد، مانحًا إيَّاهُ – بنعمة الكلمة – الحياة الأبدية إن هو أبقى الله في معرفته ولم يخالف الوصية ، كما يقول سفر الحكمة: «الله خلق الإنسان لعدم الفساد وجعله على صورة أزليته» (حك ٢:٢٣)

السقوط وحكم الموت: ولكن البشر حَوَّلوا وجوههم عن الأمور الأبدية، وٱحتقروا التفكير في الله ورفضوه، وبمشورة **الشيطان** تعدوا الوصية وتحوَّلوا إلى أعمال **الفساد الطبيعي**، وصاروا هم أنفسهم السبب فيما حدث لهم من **فساد بالموت**.

نتيجة **السقوط** هي **موت الإنسان** لأنه ٱنفصل عن الله مصدر الحياة وفقد كل معرفة عن الله، وبالتالي بدأ الفساد يَسود البشر ، ونزعت عنهم نعمة مُماثِلَة صورة الله. هذه النعمة التي كانت تُمكِّنهم من أن يبقوا في شركة الحياة وعدم الفساد...

تمادى البشر في الشرِّ فلم يقفوا عند حدٍّ مُعَيَّن في خطاياهم بل صاروا يخترعون الشرَّ.. وكل شرٍّ كان يقودهم إلى شرٍّ جديد.. وصاروا يسلكون في الفساد والظلم أفرادا وجماعات.. فنشبت الحروب وقامت الأمم ضد بعضها وتمزقت المسكونة كلها..

المشكلة الآن ..

١) من المستحيل التهرب من حكم الناموس

٢) من غير اللائق ألَّا يُنَفِّذ الله حكم الموت وإلَّا أصبح الله كاذبا أو طبيعته غير ثابتة.

٣) من غير اللائق أن تهلك خليقة الله العاقلة بسبب غواية الشيطان.

٤) من غير اللائق أن يصبح الإنسان العاقل المخلوق على صورة الله آخذا في التلاشي والانحلال.

٥) لو أهمل الله خليقته وتركها تهلك لدلَّ ذلك على ضعفه.

٦– لو ترك الله البشر ينقادون للفساد دون تدخل لتعارض ذلك مع صلاحه.

من يستطيع :

أن يوفي الدين عن الجميع

أن يُحوِّل الفساد إلى عدم فساد

أن يعيد خَلقَ البشر، ليكونوا على صورة الله

أن يجعل الإنسانَ المائت غير مائت

أن يُعلِّم البشر عن الآب، ويقضي على عبادة الأوثان

+ هل تستطيع التوبة:

التوبة لا تستطيع أن تغير طبيعة الإنسان التي صارت إلى الفساد بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعهم عن أعمال الخطيئة..

+ هل يكفي إصدار أمر لخلاص البشرية:

لماذا لم يُتمِّم الله أمر خلاص البشرية بإصدار أمر بدون تجسُّد ، أي بنفس الطريقة التي أَوجَدَ بها البشرية ؟

« في البدء لم يكن شيء موجودًا بالمرّة، فكل ما كان مطلوبًا هو مجرّد نطق مع إرادة (إلهية) لإتمام الخلق، ولكن بعد أن خلق الإنسان وصار موجودًا استدعت الضرورة علاج ما هو موجود، وليس ما هو غير موجود، لأن الأشياء غير الموجودة لم تكن هي المحتاجة للخلاص، بل كان يكفيها مجرد كلمة أو صدور أمر، ولكن الإنسان (المخلوق) الموجود فعلًا والمنحدر إلى الفساد والهلاك، هو المحتاج إلى أن يأتي الطبيب أو المُخَلِّصَ لكي يشفي الخلائق الموجودة »

+ هل يستطيع إنسان أو ملاك أن يعيد تجديد الخليقة؟

لا البشر ولا الملائكة، كانوا قادرين على تجديد خلقة الإنسان على صورة الله، وذلك لأن الإنسان هو مجرد مخلوق على مثال تلك الصورة، وليس هو الصورة نفسها، كما أن الملائكة ليسوا هم صورة الله.

وكذلك لابدَّ أن يصبح كلمة الله معروفًا مرَّة أخرى بين البشر وبه يُعرف الآب، لأن الخليقة كانت موجودة بالفعل، ومع ذلك كان البشر يسقطون في نفس الضلالة عن الله ، ولم يعودوا يعرفون الله عن طريق أعمال الخليقة، بل ما عادوا يرفعون أعينهم إلى فوق بل صاروا يشخصون إلى أسفل.

ضرورة تجسد كلمة الله: إذن لا يمكن أن يُقضى على فساد البشرية بأي طريقة أخرى سوى الموت نيابة عن الجميع. ووفاء الدين المستحق على الجميع، إذا كان الجميع مستحقين الموت، فلابدَّ من أن يقدِّم نفسه ذبيحه عن الجميع، يبرّرهم ويحرّرهم من **المعصية الأولى** ويعيدهم لحالتهم الأولى قبل السقوط. ويثبت أن جسده الخاص أقوى من **الموت** وأنه عديم الفساد وهو **باكورة لقيامة الجميع**.

كما أن الفساد الذي جرى لم يكن خارج الجسد، بل كان ملتصقًا به لذا لابدَّ وأن تلتصق الحياة به بدلًا من الفساد، حتى كما صار الموت في الجسد تصير الحياة داخل الجسد أيضًا.

كلمة الله وحده هو الذي يستطيع أن يُعيد للإنسان تلك النعمة ويَرُدّه إلى حالته الأولى، فهو الذي خَلَقَ في البدء كل شيء من العدم وهو وحده القادر أن يأتي بالفاسد إلى عدم الفساد وأيضًا أن يصون صدق الآب من جهة الجميع. وحيث إنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، كان

هو وحده القادر أن يُعيد خلق كل شيء وأن يتألم ويموت عوض الجميع، وأن يكون شفيعًا عن الكُل لدى الآب.

تجسد كلمة الله: أخذ جسدًا من جنسنا، وليس ذلك فحسب، بل أخذه من **عذراء طاهرة نقية لم تعرف رَجُلًا**، جسدًا طاهرًا وبدون زرع بشر. لأنه وهو الكائن الكلّي القدرة وبارئ كل شيء أعدَّ الجسد في **العذراء** ليكون هيكلًا له، وجعله جسده الخاص متخذًا إيَّاه أداة ليسكن فيه ويُظهر ذاته به. وهكذا اتخذ جسدًا مماثلًا لطبيعة أجسادنا.

ولَمَّا كان الجميع خاضعين **للموت والفساد**، فقد بذل جسده للموت عوضًا عن الجميع، وقدّمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر.

أولًا: ولَمَّا كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر ناموس الموت والفناء، ذلك لأن سلطان الموت قد استنفَذ في جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر (المماثلة لجسد الرب).

ثانيًا: وأيضًا فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد، الذي جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم كما تُبيد النار القش.

ثالثًا: إنَّ كلي القداسة ابن الله وهو صورة الآب قد أتى إلى عالمنا لكي يُجدِّد الإنسان الذي خُلِقَ مرة على صورته، ويخلص ما قد هلك بمغفرة الخطايا، «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ» (يو٣:٣)، «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. (يو٣:٥) ، فلابد من إعادة ميلاد النفس وتجديد خلقتها على صورة الله ومثاله..

رابعًا: وُلِدَ وَظَهَرَ كإنسان، كَوَّنَ لنفسه جسدًا من **عذراء وحدها** بدون رجل ليثبت للجميع أنه الإله صانع جميع الأشياء، وأظهر سلطانه على كل الأشياء (حول الماء إلى خمر ، وأظهر سلطانه على البحر ، وشفى الأمراض وطهَّر البُرْصَ وجعل العُمْيَ يبصرون والعُرْجَ يمشون وأقام الموتى وأظهر سلطانه على الأرواح النجسة) حتى يبصروا الأعمال التي عملها بالجسد ويعرفوا أنه كلمة الله المتجسد ومن خلاله يعرفون الآب..

موته وقيامته من بين الأموات:

هو الحياة وكلمة الله، ولكن كان من المحتَّم أن يموت نيابة عن الجميع، لهذا ولأنه هو الحياة والقوة فقد نال الجسد منه قوة. ولكن لا يمكن أن تكون هناك قيامة ما لم يسبقها موت. ولذا فهو مات أمام شهود، لتكون قيامته أيضًا معلومة للجميع.

قد مات لأجل فداء الجميع، لكنه لم ير فسادًا. فقد قام جسده سليمًا تمامًا إذ لم يكن سوى جسد ذاك الذي هو الحياة عينها.

أتى ليقبل الموت المستحق على الآخرين، ويموت لينتصر على الموت مُقدمًا قيامته دليلًا على انتصاره الأكيد على الموت.

ترقب مجيئه الثاني ويوم الدينونة: تُخبرنا الكُتب المقدَّسة بأن كلمة الله سيأتي في ظهوره الثاني المجيد، الإلهي والحقيقي. حيث لا يظهر بعد في فقر بل في مجد، ولا يظهر بعد مُتخفيًا متواضعًا بل في عظمته. وهو سيأتي لا ليتألم ثانية، بل ليقدم للجميع ثمر صليبه، أي القيامة وعدم الفساد. ولا لكي يُحكم عليه بعد بل ليدين الجميع بحسب ما صنع كل واحد في الجسد خيرًا كان أم شرًا حيث أعدَّ للصالحين ملكوت السموات، أما للذين عملوا السيئات **فالنار الأبدية والظلمة الخارجية**. لأنه هكذا يقول الرب نفسه أيضًا «مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ».(متى ٢٦:٦٤). ولهذا السبب عينه نجد أيضًا كلمة للمخلِّص تُهيِّئنا لذلك اليوم إذ يقول «لِذلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ .» (متى ٢٤:٤٤). لأنه بحسب قول الرسول بولس: «لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.» (٢ كورنثوس ٥:١٠)

إعتراضات على التجسد:

١) هل كان العالم بدون إله وقت تجسُّد السيِّد المسيح؟

لم يكن كلمة الله محصورًا في الجسد كما قد يتوهم البعض، أو أنه بسبب وجوده في الجسد كان كل مكان آخر خاليًا منه، أو أنه بينما كان يحرّك الجسد، كان العالم محرومًا من أفعال قدراته وعنايته. غير أن الأمر العجيب والمدهش جدًا هو أنه مع كونه هو الكلمة الذي لا يحويه شيء، فإنه هو نفسه يحوي كل الأشياء. وبينما هو موجود في كل الخليقة، فإنه بحسب جوهره هو متميز عن كل الخليقة. فهو حاضر في كل الأشياء بقدرته فقط (وليس بجوهره)، ضابطًا كل الأشياء ومُظهرًا سيادته على كل شيء، وعنايته بكل شيء، وواهبًا الحياة لكل شيء. ومع أنه يحوي كل الأشياء ولا يحتويه شيء، إلَّا أنه كائن كلية في أبيه وحده.

لم يكن مُقيدًا بسبب الجسد، بل بالحريّ كان يستخدم جسده، ولذلك فهو لم يوجد في الجسد فقط، بل كان موجودًا بالفعل في كل شيء. وبينما كان خارج الكائنات فقد كان في أبيه وحده مستقرًا

٢) كيف يسكن الله كلي القداسة في جسد الإنسان؟

رغم وجود كلمة الله في كل الأشياء إلَّا أنه لا يستمد منها شيئًا، بل العكس فإن كل الأشياء تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها.

مثال: الشمس : لأنه أن كانت الشمس التي خلقها هو والتي نراها وهي تدور في السماء لا تتدنس عندما تلمس أشعتها الأجسام الأرضية، ولا تفقد نورها بسبب ظلمة هذه الأجسام، لكنها بالعكس تنيرها وتطهرها أيضًا؛ فبالأولى جدًا كلمة الله كلّي القداسة، خالق الشمس وربها، لا يتدنس بمجيئه في الجسد، بل بالعكس، فلكونه عديم الفساد، فقد أحيا الجسد المائت وطهَّره، فهو الذي كُتب عنه «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١ بط٢:٢٢).

٣) لماذا مات كلمة الله ؟ لماذا لم يمنع حدوثه بقدرته ؟

اتخذ كلمة الله لأجل هذا (**الموت**) جسدًا، ولم يكن لائقًا أن يمنع الموت لئلا تتعطل القيامة أيضًا. ولم يكن لائقًا أيضًا أن يسبق المرض موته لئلا يُظن أن ذاك الذي كان في الجسد كان ضعيفًا. ألم يعان الجوع إذن؟ نعم إنه جاع لأن (الجوع) هو من خواص جسده، على أن (هذا الجسد) لم يهلك من الجوع لأن الرب لبس هذا الجسد. لهذا فإنه وإن كان قد مات فداءً للجميع، لكنه لم ير فسادا. فقد قام جسده سليمًا تمامًا إذ لم يكن سوى جسد ذاك الذي هو الحياة عينها.

أتى ليقبل الموت المستحق على الآخرين، ويموت لينتصر على الموت مُقدمًا قيامته دليلًا على انتصاره الأكيد على الموت. وأيضًا لأنه لم يكن ممكنًا أن يموت من الضعف وهو الذي يشفي الآخرين.

وقد يقول أحد: كان من الأفضل أن يختفي من مؤامرات اليهود لكي يحفظ جسده كلية من الموت. فليسمع مثل هذا أن ذلك الأمر أيضًا لم يكن لائقًا بالرب. لأنه كما لم يكن لائقًا بكلمة الله وهو الحياة أن يُوقِع الموت على جسده بنفسه، كذلك لم يكن لائقًا أن يهرب من الموت الذي يوقعه الآخرون عليه، بل بالحري أن يتعقبه حتى يقضي عليه. ولهذا السبب فإنه بطبيعة الحال لم يسلّم جسده من تلقاء نفسه، كما أنه لم يتهرب من مؤامرات اليهود ضده. وهذا بَيَّن أنه هو المخلِّص وهو الحياة، إذ إنه أولًا: انتظر إلى أن يأتيه الموت ليبيده، وثانيًا: عندما قُدِّمَ إليه الموت فإنه عجّل بإتمامه لأجل خلاص الجميع.

٤) لماذا لم يُسلِّم جسده بكرامة (على فراش للموت وفى موضع خاص) بدلًا من أن يحتمل موت الصليب المُشِينْ هذا ؟.

ما فعله المخلِّص فهو حقاً عمل إلهي ولائق بلاهوته لأسباب كثيرة.

أولًا: إن الموت الذي يصيب البشر عادة يأتيهم بسبب ضعف طبيعتهم، فهم لا يستطيعون البقاء لزمن طويل فإنهم ينحلون في الزمن (المحدد). وبسبب هذا أيضًا تنتابهم الأسقام فيمرضون ويموتون. أما الرب فإنه ليس ضعيفًا بل هو قوة الله، وكلمة الله، وهو الحياة عينها.

ثانيًا: جاء المخلِّص لكي يتمِّم **موت البشر**، لذلك قَبِل في جسده ذلك الموت الذي أتاه من البشر، لكي يبيد ذلك الموت تمامًا عندما يلتقي به في جسده. ولكي يؤكد للكل أنه أزال الفساد، وأنه منح أجسادهم عدم الفساد من ذلك الحين فصاعدًا. وكضمان وبرهان على القيامة المُعَدّة للجميع فقد حفظ جسده بغير فساد.

ثالثًا: لو أنه وضع جسده (**للموت**) في مكان خاص وعلى فراش كما يموت البشر عادة لكان الناس قد ظنوا أنه ذاق ذلك (الموت) بسبب ضعف طبيعته، ولظنوا أيضًا أنه لم يكن فيه ما يميّزه عن سائر البشر. أما وأنه هو الحياة وكلمة الله، وكان من المحتم أن يتم الموت نيابة عن الجميع، لهذا ولأنه هو الحياة والقوة فقد نال الجسد منه قوة.

رابعًا: **الموت** لابُدَّ وأن يسبق **القيامة**، لأنه لا يمكن أن تكون هناك قيامة ما لم يسبقها موت. فلو أن موت جسده كان قد حدث سرًا في أي مكان ولم يكن الموت ظاهرًا، ولم يحدث أمام شهود، لكانت قيامته أيضًا مخفيّة ولا يوجد دليل عليها.

وكيف يكون لتلاميذه الجسارة على أن يتكلموا عن القيامة إن كانوا لا يستطيعون أن يقولوا إنه مات أولًا؟ أو كيف يمكن أن يصدق أحد قولهم إن الموت حدث أولًا، ثم بعد ذلك القيامة لو لم يكن هناك شهود على موته من بين الذين يكلمونهم؟

أما عن موت الصليب: لأنه إن كان قد جاء ليحمل اللعنة الموضوعة علينا، فكيف كان ممكنًا أن (يصير لعنة) بأي طريقة أخرى ما لم يكن قد قَبِلَ موت اللعنة الذي هو (موت) الصليب؟ لأن هذا هو المكتوب: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»(غل ٣:١٣).

وإضافةً إلى ذلك، إن كان موت الرب هو فدية عن الجميع وبواسطة موته هذا «نَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ» (أف٢:١٤). وصارت الدعوة لجميع الأمم، فكيف كان ممكنًا أن يدعونا إليه لو لم يكن قد صُلِبَ؟ لأنه على الصليب وحده يمكن أن يموت إنسان باسطًا ذراعيه. لهذا كان لائقا بالرب أن يحتمل هذا الموت ويبسط ذراعيه، لكي بأحدهما يجتذب الشعب القديم وبالذراع الأُخرى يجتذب الذين هم من الأمم, ويوّحد الاثنين في شخصه. «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يو١٢:٣٢).

وأيضًا، إن كان الشيطان عدو جنسنا إذ قد سقط من السماء، يجول في أجوائنا السفلية ويتسلط فيها على الأرواح الأخرى المماثلة له في المعصية، ويحاول أن يخدع الذين تغويهم هذه الأرواح كما أنه يعوق الذين يرتفعون إلى فوق، وعن هذا يقول الرسول: «حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ» (اف ٢:٢) ، فإن الرب قد جاء ليطرح الشيطان إلى أسفل ، ويطهّر الهواء ويُعِدّ لنا الطريق الصاعد إلى السماء كما يقول الرسول « بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ » (عب ١٠:٢٠) ، وهذا يلزم أن يتم بالموت. فبأي نوع آخر من الموت كان ممكنًا أن يتمَّ هذا، إلَّا بالموت الذي تم في الهواء، أي (موت) الصليب؟ فإن الذي يموت بالصليب هو وحده الذي يموت (مُعلقًا) في الهواء. ولذلك كان لائقًا جدًا بالرب أن يموت بهذه الطريقة. لأنه إذ رُفع هكذا فقد طهّر الهواء من كل خبث الشيطان، وكل الأرواح النجسة كما يقول: «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ.» (لو١٠:١٨)، وافتتح طريقًا جديدًا للصعود إلى السماء كما هو مكتوب «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية » (مز ٢٤:٧).

فلم يكن الكلمة نفسه هو المحتاج لانفتاح الأبواب إذ هو رب الكل، بل نحن الذين حملنا في جسده الخاص. لأنه كما قدّم جسده للموت عن الجميع، هكذا بنفس هذا الجسد أيضًا، أعدّ الطريق للصعود إلى السموات.

٥- لماذا قام في اليوم الثالث بالتحديد ولم يقم قبله أو بعده؟

أظهر كلمة الله نفسه على الصليب بل بالحريّ فإنه جعل الطبيعة كلها تشهد لحضور خالقها، وبعد ذلك لم يَدَع هيكل جسده يظل وقتًا طويلا ميتًا، إلّا بالقدر الذي أظهر فيه أن الجسد مات باحتكاك الموت به، ثم أقامه حالًا في اليوم الثالث، حاملًا عدم الفساد وعدم التألم اللذين حصلا لجسده، كعلامة للظفر والانتصار على الموت.

١) كان يستطيع أن يقيم جسده بعد الموت مباشرة، ويظهره حيًا، ولكن المخلّص بحكمة وبُعْدِ نظر، لم يفعل هذا لأنه لو كان قد أظهر القيامة في الحال لكان من المحتمل أن يقول أحدهم إنه لم يمت بالمرة أو إن الموت لم يلمسه بشكل كامل.

٢) وربما لو كانت القيامة قد حدثت في اليوم التالي للموت مباشرة لما ظهر مجد عدم فساد جسده. ولذلك فلكي يتأكد موت الجسد فإن الكلمة أبقاه يومًا آخر، وفي اليوم الثالث أظهره عديمَ الفساد أمام الجميع. إذًا فلكي يتأكد موت الجسد لذلك أقامه في اليوم الثالث.

٣) ولكن لو أنه أقام الجسد بعد أن بقيَ فترة طويلة، وبعد أن يكون قد فَسَدَ تمامًا، فقد يُشَك فيه كأنه قد استبدل جسده بجسد آخر. لأن الإنسان بمرور الزمن قد يشك فيما سبق أن رآه، وينسى ما قد حدث فعلًا. لهذا السبب فإن الرب لم ينتظر أكثر من ثلاثة أيام، كما أنه لم يترك الذين سبق فأخبرهم عن القيامة معلقين لفترة طويلة. ولكن بينما كانت أقواله لا تزال تَرِنُّ في آذانهم، وكانت عيونهم لا تزال في حالة توقع وعقولهم معلّقة حائرة، وإذ كان الذين قتلوه لا يزالون أحياءَ على الأرض وفي نفس المكان، ويمكن أن يشهدوا بموت جسد الرب؛ فإن ابن الله نفسه بعد فترة ثلاثة أيام أظهر جسده الذي كان قد مات غير مائت وعديم الفساد. وقد اتضح للجميع أن الجسد قد مات ليس بسبب أي ضعف في طبيعة الكلمة الذي اتحد بالجسد، بل لكي يُباد الموت فيه (في الجسد) بقوة المخلّص.

سرور العالم بميلاد السيد المسيح - للقديس غريغوريوس اللاهوتي

«المسيح وُلِدَ فمجدوه. المسيح أتى من السماوات فاستقبلوه. المسيح على الأرض فارفعوه. رتّلي للرب أيتها الأرض كلّها ويا شعوب سبّحوه بابتهاج لأنه قد تمجد.»

المسيح في الجسد فابتهجوا: «يا جميع الأمم صفقوا بِأَكُفِّكُم وهللوا لله بصوت الترنم» (مزمور٤٦:١) ، «لأنه ولد لنا ولد، وأُعطينا ابنًا، وتكون الرئاسة فوق منكبه ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلها جبارًا أبا الأبد رئيس السلام» (أشعياء٩:٦). به يبتدئ الكيان ويخلق غير المخلوق. فيا لها من محبة للبشر لا توصف يظهرها السيد. إن المولود منذ الأزل بلا أم يولد ثانية بلا أب. إن ابن الله يصير ابن البشر من أجلنا، نحن الساقطين من السعادة بسبب الخطيئة ليعيدنا إلى الحالة الأولى بواسطة تجسده. فالغني يفتقر إلى جسدي لأغنى أنا بألوهيته، والكامل يضعف في المجد لأشاركه في كماله. فيا له من سر لا يوصف.

إني حصلت على صورة الله ولم أحافظ عليها. فالسيد يأخذ جسدي لينقذ الصورة ويجعل الجسد خالدًا. إن الضابط الكل يدخل ثانية معنا في الشركة بصورة أعجب من الأولى، لأنه وهبنا الأحسن، أمّا الآن فيأخذ الأسوأ، ولكن هذا الأخير أشد ارتباطًا بالله من الأول وأكثر عُلوًّا للعقل. فحفلتنا عظيمة جدًا لأننا نُعَيِّد اليوم لمجيء الرب إلى البشر. الرب الذي أرجعنا إلى الله. «فلنطرح الإنسان العتيق ولنتشح بالجديد» (افسس٤:٢٢-٢٣)، «وكما أننا متنا بآدم كذلك سنحيا بالمسيح» (١كور١٥:٢٢). بالمسيح يولد ويتجدَّد المصلوبون والمدفونون والأحياء لأنه لا بُدَّ لنا من أن نحتمل هذا الانقلاب الخلاصي حتى ينتج الحزن من السرور فينقلب الحال، ونرى السرور من الحزن لأنه «حيث تكثر الخطيئة تزيد النعمة أكثر» (رو ٥:٢٠). فإن كانت اللذة قد جلبت الدينونة فإن آلام المخلص قد حقّقت تبريرنا.

وعليه فلنُعَيِّد، لا بالأبهة والتفاخر، بل بالسلام! ليس العيد عيدنا بل عيد السيِّد، ولا عيد الضعف بل عيد الشفاء، ولا عيد الخليقة بل عيد تجديدها، فكيف يجب أن نكمل ذلك؟ يجب ألَّا نفتن البصر، وندنس السمع، ونرفه الشم، ونروي غليل الذوق، ونلهي اللمس؛ فان هذه الطرق كلها تؤدي إلى الخطيئة وتفتح أبوابها.

لنسع باستقامة كما في النهار، «لا بالقصف والسكر، ولا بالمضاجع والعهر ولا بالخصومة والحسد، بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا يسبق اهتمامكم بشهوات الجسد» (رو١٣:١٣-١٤)، لان تعليم المعلم الرديء رديء، والأفضل أن يقال ان الحبوب الرديئة تعطي زرعًا رديئًا، فلا تدعِ الأرض أو المياهَ تقدّم لك الأقذار بشكل هدية ثمينة. فإن الزينة التي تشوّه الطبيعي تهين صورة الله؟ ولا ينافس أحدنا الآخر في الإفراط، لأنّ كل ما يزيد عن الحاجة هو الإفراط بعينِهِ.

فبأي شيء يجب أن نتلذَّذ نحن الساجدين للكلمة؟ يجب أن نتلذَّذ بكلمة الله، وبالحديث عن أسباب الحفلة الحاضرة.

لنقدم المجد لبيت لحم الصغيرة التي أرجعتنا ثانية إلى الفردوس لنسجد أمام المذوذ الذي هذبّنا بالكلمة بعد أن شابهنا البهائم! لنمجد المولود مع الرعاة ولنقدم له الهدايا مع المجوس! لنفرح مع الملائكة، ولنرسل مع رؤساء الملائكة المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام. ولتكن الحفلة عامة بين القوات السماوية والارضية لأن قوات السماء تفرح الآن وتحتفل معنا، لأنها محبة الله وللبشر أيضًا، آمين.

القديس باسيليوس الكبير
والتفسير المجازي للتكوين

كريستوفر هول

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

أَوْضَحُ مثال عن أسلوب **القديس باسيليوس الكبير** التفسيري والوعظي هو «**ستة أيام الخليقة**»، وهو سلسلة من تسع عظات ألقاها حول هذه الأيام في صلوات السحرية والمساء خلال موسم الصوم، يبقى تحديد تاريخ إلقائها بشكل دقيق أمرًا صعبًا.

القديس غريغوريوس النزينزي، صديق **القديس باسيليوس** الأقرب، عبّر عن إعجابه العميق بعمل **القديس باسيليوس** لتصويره الواضح لمعجزة الخلق وخالقها. «عندما أعالج كتابه وآخذ كلماته في فمي، أُحمَل إلى حضرة خالقي، وأفهم معنى الخلق، ويزداد إعجابي بالخالق أكثر من قبل، متّكلًا على معلمي كوسيلتي الوحيدة للنظر».

أحد الملامح البارزة في تفسير القديس باسيليوس هو الرفض القاطع للرمزية في تفسيره لقصة الخلق. بالطبع، برفض الرمزية يُلقي ظلالًا من الشكّ على قيمة الكثير من أعمال **أوريجنس التفسيرية**. هذا أمر مفاجئ بشكل خاص على ضوء إعجابه **بأوريجنس**. ما الذي كان يفكر فيه القديس إذًا؟ لقد جمع مبكرًا وبمساعدة القديس غريغوريوس النزينزي مجموعة كبيرة من أعمال **أوريجنس** في ما أسماه الفيلوكاليا. ولكنه عندما ابتدأ يفسّر ويعظ حول الفصول الأولى من التكوين، استبعد الرمزية كأداة تفسيرية قابلة للحياة. لماذا؟

في العظة التاسعة حول أيام الخلق الستة، دبّج (زيَّن، زَخْرَف.) القديس باسيليوس ما وصفه **ياروسلاف باليكان** على أنه «أحد أكثر الانتقادات قوّة للتفسير الرمزي يصدر عن لاهوتي أرثوذكسي في القرن الرابع، أو في أي قرن آخر». «أعرف قوانين الرمزية، مع أني أعرفها من نفسي وليس من أعمال الآخرين. هناك أشخاص بالحقيقة لا يعترفون بفطرة الكتاب المقدس السليمة، فالماء عندهم ليس ماءً بل مادة أخرى، الذين لا يرون في النبتة أو في السمكة إلّا ما ترغبه أهواؤهم، الذين يغيّرون طبيعة الزواحف والوحوش الضارية بما يتّفق مع رمزياتهم، كمِثل مفسري الأحلام الذين يشرحون رؤى النوم لكي تخدم غايتهم. بالنسبة لي، العشب هو عشب، النبات، السمك، الوحوش، الدواجن، أنا آخذ كل شيء بمعناه الحرفي.»

في عظة سابقة، كان القديس باسيليوس قد انتقد أولئك الذين حاولوا تفسير فصل المياه عن اليبس في (تكوين ١:٦) بطريقة رمزية. الرمزيون «استفاضوا بالاستعارة» ولم يروا في المياه سوى صورة للدلالة على القوى الروحية والمعنوية. في الأماكن العليا، فوق السماء، يكمن الأفضل؛ في الأماكن السفلى، التراب والمادة هما مكان الخبثاء. ولهذا يَقول المزمور: «سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ» (١٤٨:٤)، أي سبحيه أيتها القوات الصالحة، التي تجعلها طهارة نفوسها مستحقة لتسبيح الله. أما المياه التي تحت السماوات فهي تشير إلى الأرواح الخاطئة، التي وقعت من عُلُوّها الطبيعي إلى هاوية الشر.

يعترف القديس باسيليوس بطريقة لبقة بأن هذه النظرية عبقرية من دون أن يستطيع تبنّي حقيقتها. كما في العظة التاسعة فهو يقارن هذا النوع من التأويل المجازي بالحلم أو بقصص العجائز. بالمقابل، يشدّد على أن الماء يعني الماء. انتقد القديس باسيليوس نقص التفسير عند المجازيين رابطًا هذه الرغبة بالتأويل المجازي بعدم رضى أساسي بالمعنى العادي في الإنجيل. فهو يرى أن الله أخبرنا بوضوح ما نحن بحاجة إلى معرفته لتحقيق النمو الروحي، والتقديس والمعرفة اللاهوتية الصحيحة. أمّا الرغبة في تجاوز وضوح الله المعلَن إلى معنى آخر خَفِيٍّ فهو علامة على الشعور بالضيق الروحي.

«ألا ينبغي بي أن أمجده وهو الذي قد نظّم كل التدبير في الكتاب المقدس على ضوء تقديس وتكميل نفوسنا، كونه لا يرغب بأن نعبئ فكرنا بهذه التفاهات؟ هذا ما يبدو لي غير مفهومٍ عند أولئك الذين استسلموا إلى معنى المجازية المشوش، ويعملون على فرض سلطان اختراعهم على الكتاب المقدس. إنهم يؤمنون بأنهم أكثر حكمة من الروح القدس، ويقدّمون أفكارهم الخاصة بحجة التأويل.»

يذكّر القديس باسيليوس أن مجموعات **كالمانيخيين والماركيونيين والفالانتيين** استعملوا التأويل المجازي في تحريفاتهم التفسيرية. ففيما يورد كتاب التكوين: «عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ»، يقول القديس باسيليوس أن الظلمة هي كما تعني بالحقيقة، أي أنه لا نور في الجو، كالظل الناتج

عن توسط أحد الأجسام، أو أخيرًا كما أن لا ضوء فيه لبعض الأسباب. بينما **المانيخيون والماركيانيون والغنوصيون** كانوا سريعين في تخيّل معنى أعمق. فبالنسبة لهم، الظلمة هي قوة شريرة، أو بالأحرى تجسيد للشر الصادر من ذاته في تعارض مع صلاح الله وفي صراع دائم معه.

يشدِّد القديس باسيليوس على أن التفسير الأكثر أمانًا هو الحفاظ على الصمت حول هذه الاستعارات والرموز، وببساطة اتّباع كلمات الكتاب المقدس من دون أي فضول عَبَثِيٍّ، آخذين من الظلمة الفكرة التي تعطينا إياها العبارة. ربط القديس باسيليوس سلطة نص التكوين بحركة الروح القدس في **موسى النبي** مشدِّدًا على أن كلمات النص مُوْحًى بها: «ما من مقطع فارغ». لذا، كون النص بذاته مقدسًا، صادرًا عن عمل الروح القدس، على المفسرين مقاربته بوقار. ينبغي أن يتطابق كل ما يُقال عن النص مع طبيعة أصله الإلهية السامية.

«بأي جِدِّيَةٍ ينبغي أن تتهيأ النفس لِتَقَبُّل هذه الدروس السامية! كم ينبغي أن تكون متطهرة من التأثيرات الجسدية، وخالية من القلق العالمي، وناشطة ومتقدة في أبحاثها، وتائقة إلى أن تجد في محيطها فكرة تليق بالله!»

لقد وضع القديس باسيليوس بشكل فعَّال أساسًا لتفسيره من ثلاث طبقات:

أولًا، شدَّد على أن الكتاب المقدس يأتي من الروح القدس. إنه موحى من الله.

ثانيًا، كرَّر وجوب مقاربة النص المقدس بوقار وبفكر مستعد وبقلب متلقٍّ لما يقدمه النص نفسه.

ثالثًا، رفض القديس باسيليوس المجازية كاستراتيجية تفسيرية مناسبة. ما يقدمه المعنى الحرفي للنص من المادة للتأمل والتبصر والتطبيق هو أكثر من كافٍ.

حول العلم والدين

القديس لوقا الجرّاح رئيس أساقفة سيمفروبول

«عندما ندرس العلوم المعاصرة كما طوّرها علماء مثل لامارك وداروين، فإننا نرى التناقض لا بل الخلاف التام القائم بين العلم والدين، حول موضوعات تتعلّق بالمشاكل الأساسية للوجود والمعرفة. لهذا، لا يمكن للعقل المتنوّر أن يقبل في آن واحد هذا وذاك بل عليه أن يختار بين الدين والعلم».

هذه الكلمات كتبها **عالم الحيوان الألماني المعروف إرنست هاكل** *Haeckel* (١٨٣٤-١٩١٩) الذي كان من أتباع داروين المميزين، قبل ٦٥ عامًا في كتابه «**لغز الكون**» الذي حقق نجاحًا كبيرًا على ما يبدو وأثبتَ سخافة الإيمان. وعليه، يقول **هاكل** أن على كل رجل متنوّر أن يختار بين العلم والدين، ويجب أن يَتْبَعَ إما هذا أو ذاك. واعتبر من الضروري أن ينكر الرجال المتنوّرون الدين لأن الإنسان المنطقي لا يستطيع إنكار العلم.

أحقًا هذا ضروري؟ لا على الإطلاق، لأنَّنا نعلم أن العديد من العلماء العظام كانوا في نفس الوقت مؤمنين عظماء. على سبيل المثال، هكذا كان **عالم الفلك البولندي كوبرنيكوس** الذي وضع أساس كل علم الفلك المعاصر. لم يكن كوبرنيكوس مؤمنًا فحسب، بل كان أيضًا رجل دين. عالم عظيم آخر هو **نيوتن** الذي كان كلّما ذكر كلمة الله أزال قبعته. لقد كان مؤمنًا عظيمًا. عالم بكتيريات عظيم في عصرنا وهو **باستور**، الذي وضع أساس علم الجراثيم المعاصر، كان يبدأ كل عمل علمي بصلاة إلى الله. قبل عشر سنوات، توفي مواطننا عالم الفيزياء **بافلوف** الذي كان عالمًا عظيمًا ومبتكر الفيزيولوجيا الجديدة للدماغ. هو أيضا كان مؤمنًا عظيمًا. هل يجرؤ **هاكل** على القول إن هؤلاء الرجال ليس لديهم عقول مستنيرة لأنهم يؤمنون بالله؟

ماذا إذًا الآن؟ لماذا حتّى اليوم يوجد بعض العلماء وهم أساتذة في الجامعات وأعرف بعضهم شخصيًا ومؤمنين عظيمين؟ لماذا لا ينكر جميع العلماء الدين بل فقط أولئك الذين يفكرون مثل **هاكل**؟ لأن هؤلاء يؤمنون فقط بالمادة وينكرون العالم الروحي، فهم لا يؤمنون بالحياة بعد الموت، ولا يقبلون خلود الروح وبالطبع لا يقبلون قيامة الأموات. يقولون أن العلم قادر على كل شيء، وأنه لا أسرار في الطبيعة لا يستطيع العلم اكتشافها. بماذا يمكننا أن نجيبهم؟

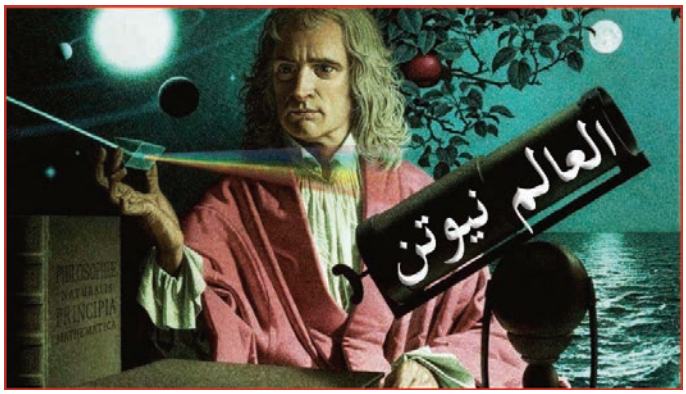

علينا أن نجيب بهذه الطريقة. أنتم محقّون تمامًا. لا يمكننا حدّ العقل البشري الذي يبحث في الطبيعة. نحن نعلم اليوم أن العلم لا يعرف سوى جزءٍ من الأشياء التي لدينا في الطبيعة. نحن ندرك أيضًا أن إمكانات العلم عظيمة. في هذا هم على حقّ ونحن لا نشكّ بذلك. إذًا بماذا نشكّ؟ لماذا لا ننكر الدين مثلهم ونعتبره مخالفًا للمعرفة العلمية؟

لأننا نعتقد بإخلاص، ومن كل قلوبنا بأنه يوجد عالم روحي. نحن على يقين من أنه غير العالم المادي، هناك عالم روحي غير متناهٍ ومتفوق بشكل لا مثيل له. نحن نؤمن بوجود كائنات روحية تفوق البشر ذكاءً. نحن نؤمن بإخلاص أنّ فوق هذا العالم الروحي والمادي يوجد **الله العظيم القدير**.

ما نشكّ فيه هو حقّ العلم في البحث في العالم الروحي مستعملًا طرقه. لأنه لا يمكن دراسة العالم الروحي باستخدام الطرق المستخدمة للبحث في العالم المادي. مثل هذه الطرق غير ملائمة أبدًا للبحث في العالم الروحي.

كيف نعرف أن هناك عالمًا روحيًا؟ من أخبرنا أنه موجود؟ إذا طلب منا أشخاص لا يؤمنون بالوحي الإلهي، فعلينا أن نجيبهم بالتالي: «**يخبرنا قلبنا**». هناك طريقتان ليعرف الإنسان شيئًا ما، الأولى هي التي يذكرها **هاكل**، ويستخدمها العلم لدرس العالم المادي. وهناك طريقة أخرى لا يعرفها العلم، ولا يرغب بمعرفتها. إنها المعرفة من خلال القلب. قلبنا ليس الجهاز المركزي في نظام الدورة الدموية وحسب، بل هو جهاز به نعرف العالم الآخر ونحصل على أرفع معرفة. إنه العضو الذي يمنحنا القدرة على التواصل مع الله والعالم الأعلى. في هذه فقط نختلف مع العلم.

وإذ نشيد بالنجاحات العظيمة والإنجازات التي حققها العلم، فإننا لا نشكك على الإطلاق في أهميتها العظيمة ولا نقيّد المعرفة العلمية. نحن نقول للعلماء فقط: «أنتم لا تستطيعون أن تبحثوا بطرقكم في العالم الروحي، بينما نحن نستطيع بقلبنا».

هناك العديد من الظواهر غير المفسّرة، وتتعلّق بالعالم الروحي وهي حقيقية (كما هو بعض أنواع الظواهر المادية). فبالتالي هناك ظواهر لن يكون العلم قادرًا على تفسيرها أبدًا لأنه لا يستخدم الأساليب المناسبة.

فلتشرح العلوم كيف ظهرت النبوءات عن قدوم المسيح والتي تحققت جميعًا. أيستطيع العلم أن يخبرنا كيف أن **النبي العظيم إشعياء**، قبل حوالي ٧٠٠ سنة من ميلاد المسيح، تنبأ بأهم الأحداث في حياة يسوع والتي بسببها سمّي إنجيلي العهد القديم؟ أتستطيع العلوم أن تفسّر النعمة النبوية التي يمتلكها القديسون وتخبرنا بأي طرق فيزيائية ورث القديسون هذه النعمة، وكيف استطاعوا أن يفهموا القلب ويقرؤوا أفكار الشخص من أول لقاء به؟ كانوا ما أن يروا الإنسان للمرة الأولى حتى ينادونه باسمه. ومن دون انتظار لأن يسأل الزائر كانوا يجيبون عمّا يزعجه.

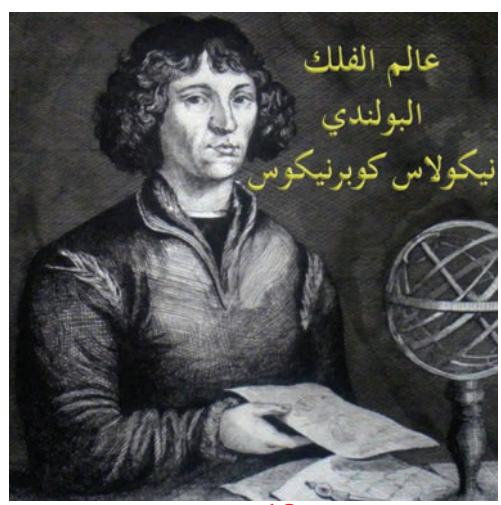

إن استطاعوا فليشرحوا لنا. دعوهم يشرحون بأي طريقة تنبأ القديسون عن الأحداث التاريخية العظيمة التي تحققت بدقة كما تنبؤوا. فليشرحوا الزيارات من العالم الآخر وظهور الموتى للأحياء.

لن يستطيعوا أن يشرحوا ذلك لنا أبدًا لأنهم بعيدون جدًا عن أساس الدين أي الإيمان. إذا قرأتم كتب العلماء الذين يحاولون إعادة بناء الدين سترون كيف أنهم ينظرون بشكل سطحي إلى الأشياء. إنهم لا يفهمون جوهر الدين ومع ذلك ينتقدونه. إن انتقاداتهم لا تمس جوهر الإيمان لأنهم عاجزون عن فهم أنواع الشعور الديني والتعبيرات عنه. جوهر الدين هم لا يفهمونه. لماذا؟ لأن الرب يسوع المسيح يقول: « لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٦: ٤٤).

لذلك من الضروري أن نصير مشدودين إلى الآب السماوي، ومن الضروري أن تنير نعمة الروح القدس قلوبنا وعقولنا. ليسكن في قلوبنا وعقولنا من خلال هذه الاستنارة، الروح القدسُ ومعه الذين استحقوا موهبة الروح القدس الذين يعيش في قلوبهم المسيح وأبوه وهم يعرفون جوهر الإيمان. لا يستطيع الآخرون، أولئك الذين خارج الإيمان، أن يفهموا أي شيء.

لِنسمع نقد **الفيلسوف الفرنسي إميل بوتروكس (١٨٤٥-١٩٢١) لهاكل**: «إن انتقادات هاكل تطال الأساليب أكثر مما تطال الجوهر، فهو يلاحظ الطرق برأي مادي ضيق لا يستطيع المتدينون قبوله. لهذا لا يُشار إلى نقد هاكل للدين، ولا حتى في أي من المبادئ التي تشكّل الدين».

هذا هو رأينا بكتاب **هاكل «لغز الكون»** الذي يعتبره جميع الذين ينتقدون الدين حتى اليوم «الكتاب المقدس» في إنكارهم للدين واعتبارهم إياه مخالفًا للعلوم. أترون الحجج الفقيرة التي لا طعم لها التي يستخدمونها؟ لا تغتاظوا عند سماع ما يقولونه عن الدين، لأنهم هم أنفسهم لا يستطيعون فهمَ جوهرِه. إن الذين علاقتهم بالعلم ضعيفة ولا يعرفون الكثير عن الفلسفة، يتذكرون دائمًا البدايات البسيطة التي كانت معروفة لدى المسيحيين الأوائل. إنهم يعتبرون الشخص الذي يعرف كل العلوم دون أن يعرف الله فقيرًا. من ناحية أخرى، انهم يعتبرون أن الشخص الذي يعرف الله مباركًا حتى لو لم يكن يعرف شيئًا عن الأشياء الدنيوية.

احفظوا هذه الحقيقة مثل أفضل كنز في القلب، سيروا باستقامة دون أن تنظروا إلى اليمين أو اليسار. فلا نعبأ بما نسمعه ضد الدين، ونفقد اتزاننا. لنتمسكّن بإيماننا الذي هو **الحقيقة الخالدة** التي لا نزاع فيها. آمين.

القديس إغناطيوس حامل الإله

د. جورج عوض إبراهيم

حياته: إن رسائل **القديس إغناطيوس** هي بمثابة المصادر الوحيدة لمعرفة سيرة حياته. ولأن هذه النصوص ليست تاريخية وسيرة ذاتية له فإننا نعرف القليل عن كتابتها من يوسابيوس المؤرخ. كان **القديس إغناطيوس ثاني أسقف على أنطاكية**. بدأت أسقفيته من سنة ٧٠م. معرفته بالرسل هي مؤكدة. المناخ الذي وُلِدَ فيه وترعرع هو يوناني، كما تشهد بذلك فصاحة لغته في رسائله. نصوص القديس إغناطيوس لا تبين فقط مدى تربيته الحسنة، بل وموهبته القيمة في الكتابة والشعر. في أنطاكية، كانت في ذلك الوقت بلدًا ليس له أهمية كبيرة تقع على الحدود بين تركيا وسوريا وتخضع الآن لتركيا، وتعرَّف القديس إغناطيوس على تيارات عصره الثقافية والدينية. في أي سنة صار أسقفًا؟ لا نعرف. لكن بالتأكيد سيادته الروحية وتأثيره تخطى حدود أنطاكية، وامتدَّ إلى كل سوريا. وهذا يبدو من الثقة العظيمة والاحترام المتناهي الذي ظهر في آسيا الصغرى وروما تجاهه. نحن إذن أمام أسقف له مصداقية مسكونية.

قُبض على القديس إغناطيوس أثناء الاضطهاد في عصر **الإمبراطور تراجان** (١٠٧-١١٧م)، أقتيد القديس إغناطيوس إلى روما بصُحبة جنود قد وصفهم في رسالته إلى رومية، قائلًا: {من سوريا حتى رومية، في البَرِّ والبحر، في الليل والنهار، وأنا أصارع الوحوش، ضد عشرة فهود كانت تُقَيِّدني بقيودها، أي ضد جنود كانت ضراوتهم تزداد شراسة كلما ازدادت ملاطفتنا لهم. إن معاملتهم السيئة كانت مدرسة أتتلمذ عليها "لست لهذا أتبرر" (١كو٤: ٤)} إلى رومية٥: ١.

ويعلن القديس إغناطيوس أنه غير خائف من الاستشهاد صارخًا: «لا شيء يمنعني عن المسيح» ويترجى المؤمنين بأن يتركوه وشأنه، قائلًا: «أرجوكم أن تتركوني وشأني أني أعرف ما يوافقني، لقد ابتدأت أن أكون تلميذًا للمسيح. فلا يحاول أحد من المنظورين أو غير المنظورين أن يمنعني من الحظوة بالمسيح. لا شيء يمنعني. فلتسقط النار، وليعملوا فيَّ تمزيقًا وليقطعوني قطعًا وليشتتوا عظامي ويبتروا أعضائي، وليطعنوا جسدي، ولتزحف قطعان الوحوش وعذابات الشيطان الشريرة» (رومية ٥: ٣).

يؤكد القديس إغناطيوس على رغبته الشديدة للاستشهاد (استشهد في روما في ٢١ديسمبر سنة ١٠٧ م). لكي يقدم جسده قربانًا لله: «أُتركوني فريسة للوحوش. إنها هي التي توصلني سريعًا إلى الله. أنا قمح الله أُطحن تحت أضراس الوحوش، لأخبز خبزًا نقيًا للمسيح. أغروا الوحوش لتصير قبرًا لي فلا تترك شيئًا من جسدي. حتى إذا مُت لا أكون ثِقَلًا على أحد إذ ذاك أصبح تلميذًا ليسوع المسيح، أي عندما يختفي جسدي ولا يراه العالم. أضرعوا إلى المسيح حتى يجعل من الوحوش واسطة لأكون قربانًا لله» (إلى رومية ٤: ١-٢).

مساهمته التعليمية: القديس إغناطيوس حامل الإله هو أول أب ومعلم للكنيسة، وكذلك هو أيضًا أول لاهوتي عظيم بعد الرُسل. حقيقة ويقينية أقواله المباشرة تعطي انطباعًا بأنه حقًا رجل رسولي. مضت الكنيسة – بالقديس إغناطيوس – إلى تأسيس التعليم اللاهوتي لمسيرتها، وواجهت مشاكلها بطريقة تعليمية لاهوتية. لقد دشَّن النظام التعليمي الذي سوف يسري على كل مسيرة الكنيسة: المشاكل الحياتية تُحَّل بمحاولة تعليمية لإظهار الحقّ الذي يتعلق بهذه المشاكل. الكنيسة في شخص إغناطيوس تتخطى مرحلة الكلام عن الأخلاق والفضيلة الذي أُثير في الإطار اليهودي واليوناني. لقد برْهَنَ على أن المسيحي اللاهوتي يمكن أن يستخدم لغة المناخ الفكري المعاصر (اليهودية . الغنوسية . اليونانية) بدون أن يتأثر به جوهريًا. التعليم اللاهوتي للكنيسة هو طريق خاص بشروط (بأساسيات) وتطلعات، يجب أن يفتش عنها المرء في مجال الحق الكنسي. هكذا في شخص القديس إغناطيوس، انتصرت الكنيسة على مناخ اليهودية ومضت في إنشاء تعليم لاهوتي، تعليم لا يُوصف بأنه تعليم نظامي أو مدرسي في تحليل المفاهيم والمواضيع.

تعليم القديس إغناطيوس هو تعليم أصيل، وصار هذا التعليم بمثابة تقليد للكنيسة، لأنه تعليم رعائي يمثل تعبيرًا وامتدادًا للتقليد الرسولي، ونشأ هذا التعليم بإرشاد الروح القدس، كما يؤكد هو نفسه. هذا التعليم يتميز بثلاثةِ محاور:

١. تعليم عن الأسقف القائم بالخدمة الليتورجية.
٢. تعليم عن وحدة الكنيسة.
٣. تعليم عن الإفخارستيا.

١. تعليم عن الأسقف القائم بالخدمة الليتورجية:

كثير من المؤمنين في عصره اعتبروا إنه ليس ضروريًا الاشتراك في الإفخارستيا التي يتمِّمها أسقف كنيستهم المحلية. أي أن المؤمنين تشكَّكوا وتردَّدوا في قبول فرادة وسيادة الأسقف في مكانه، لذا فقد شرّعوا في تكوين مجموعات منفصلة يتم فيها تتميم الإفخارستيا.

هكذا الأسقف وعمله الليتورجي في الكنيسة صار رتبة ظاهرية بدون أساس لاهوتي وخصوصية فريدة (**كانت هذه المشكلة كبيرة منذ زمن كليمنضس أسقف روما**). واجه القديس إغناطيوس جذريًا ولاهوتيًا المشكلة رابطًا مصداقية الإفخارستية وأصالتها بالأسقف الذي هو «صورة الآب»: «من الضروري أن تتجنبوا كل عمل لا يتفق مع إرادة الأسقف وهذا ما تصنعون، وأن تخضعوا للكهنة كخضوعكم لرسل المسيح رجائنا الذي نقاسمه الحياة الخالدة... علينا أن نُرضِي الشمامسة الذين هم خدام يسوع المسيح أيضًا»[(١)]. وأيضًا يشرح بأكثر وضوحًا نفس الفكرة بأكثر عمقًا لاهوتيًا:

«على الجميع أيضًا أن يحترموا الشمامسة كالمسيح يسوع والأسقف كصورة للآب، والكهنة كمجلس الله ومصاف الرسل. بدون هؤلاء لا توجد كنيسة»[(٢)]. هكذا الأسقف وهو نائبُ عن الله، لأنه «صورة الآب»، إنه آمتداد لعمل الرب والرُسل.

٢. تعليم عن وحدة الكنيسة:

الأسقف صار علامة محسوسة وحقيقية لوحدة الكنيسة. الارتباط بالاسقف هو شرط وحدة الإنسان بالله وفي نفس الوقت برهان لهذه الوحدة، أي برهان أن الإنسان هذا ينتمي إلى الكنيسة. إن لم يكن لدينا وحدة المؤمنين بالأسقف، فلا يكن لدينا أيضًا «جامعية الكنيسة»: «حيث يكون الأسقف هناك يجب أن تكون الرعية كما أنه حيث يكون المسيح هناك، تكون الكنيسة الجامعة» (إلى أزمير: ٨).

القديس إغناطيوس هو أول كاتب كنسي يستخدم مصطلح «الكنيسة الجامعة» وكذلك مصطلح «إنجيل» (إلى أزمير٧:٢) و «المسيحية»

."Καθολικὴ Εκκλησία " ، "Εὐαγγέλιον" ، "Χριστιανισμός"

٣. تعليمه عن الإفخارستيا

واجه القديس إغناطيوس في تعليمه عن الإفخارستيا الأفكار الخاصة **بهرطقة الخياليين** الذين كانوا يزعمون بأن المسيح تألم ظاهريًا فقط. إن حقيقة آلام المسيح وقيامته هي شرط للحضور الحقيقي في الإفخارستيا. والتي يشدِّد القديس إغناطيوس على الإتحاد الحقيقي للمؤمن بالمسيح في الإفخارستيا. ونظرًا لأن كتاباته كلها يغلب عليها التأكيد على حقيقة الإفخارستيا كاتّحاد بين المؤمنين والمسيح جعل بعض الدارسين يتحدثون عمَّا يُسمى بسرائرية إغناطيوس. لكن ليس لديه سرائرية لها مراحل ودرجات غير معروفة. لكن لديه حماس غير منقطع النظير، وشوق ملتهب **للإتحاد بالمسيح** والذي وَصَلَ إلى ذروته في استشهاده وهو سائر كما يشتاق الإيَّلُ إلى جداول المياه. إن محبته تجاه الرب واتحاده الحقيقي به أشعلاه وصيَّراه متجليًا حاملاً للإله. تعليم **يوحنا وبولس** يتقابلان في **روح إغناطيوس**، الذي يمضي في تعليمه عن الاتحاد بالرب وتعليمه عن الشهادة.

أول أب ومعلم للكنيسة يعتمد في تعليمه على إستنارة وقيادة الله. إجابة القديس إغناطيوس على المشاكل التي تخص الحقّ الإلهي هي نتيجة الإستنارة. يعبر «برأيه» على مواضيع حياتيه وخلاصية فقط «خصوصًا إذا كان الرب يكشف لي ذلك» (أفسس ٢٠:١). يؤكد **لأهل فيلادلفيا** أن كل ما يقوله عن وحدتهم بالأسقف يظهره له الروح: «إذا كان البعض يشكون لأني أرى مسبقًا شقاقات البعض فأني أشهد لله أن اللحم لم يكشف لي ذلك. أن الروح يقول لا تفعلوا شيئًا بدون الأسقف واحتفظوا بأجسادكم كهياكل، وأحبوا الوحدة، وتجنبوا الشقاقات، وآقتدوا بيسوع المسيح كاقتدائه بالله» (إلى فيلادلفيا ٧:٢). إذن أساس التعليم اللاهوتي للقديس إغناطيوس ليس هو انشغاله بمشاكل المؤمنين الحياتيه بل بآستنارة الروح القدس.

إن مساهمة القديس إغناطيوس التعليمية تمثل خطوة هامة وجريئة في مسيرة حياة الكنيسة. لدينا عند القديس إغناطيوس نظام واضح **للترتيب الكنسي: الأسقف والكاهن والشماس**. الكتاب المقدس هو المصدر الأساسي لأعمال الكُتَّاب الكنسيين. والخريستولوجية هي واضحة عند القديس إغناطيوس كما تشهد سطوره على ذلك.

إلى رومية ٧:٥

« أريد خبز الله الذي هو جسد المسيح من نسل داود، أي أريد شرابي دمه الذي هو المحبة غير الفاسدة».

إلى بوليكاربوس ٣:٢

«ترجى من هو فوق الزمان، ترجى من لا زمان له، غير المنظور، الذي صار منظورًا لأجلنا، الذي لا يُلاَمس والذي لا يتألم وتألم من أجلنا وأحتمل كل شيء».

إلى أفسس٧:٢

« لا يوجد غير طبيب واحد، طبيب جسدي وروحي، مولود وغير مولود، إله متجسد وفي الموت حياة حقيقية، وُلِدَ من العذراء ومن الله، قابلًا للآلام قبلًا وغير متألم الآن، يسوع المسيح ربنا».

كتاباته

وفي طريقه إلى روما لينال الاستشهاد كتب سبع رسائل: خمس رسائل إلى الجماعات المسيحية في أفسس ومغنيسيا وترال وفيلادلفيا وسميرنا، وهي المدن التي بعثت بممثليها إليه لتحيته بينما كان يعبر أراضيها في طريقه إلى روما. ورسالة أخرى كتبها إلى **أسقف سميرنا القديس بوليكاربوس**، وكذلك الرسالة الهامة التي أرسلها إلى كنيسة روما متوسلًا إليهم ألا يتخذوا أية إجراءات من شأنها أن تعوقه عن رغبته الحارة في أن يموت للمسيح: «أطلب فقط أن تتركوني لأقدم دمي ضحية على مذبح الرب مادام المذبح مُعَدًّا، وأن ترتلوا، وقد جَمَعَتْكُم جوقة المحبة، ترتيلةً للآب بيسوع المسيح لأن الله ارتضى أن يأتي أسقف سورية من الشرق إلى الغرب. جميل أن نُغِيبَ عن العالم بآتّجاه الله لنشرق فيه» (رومية٢:٢).

(١) الرسالة إلى تراليان ٣.٢:٢ عن كتاب الآباء الرسوليين، عرَّبَهُ عن اليونانية ، مطران حلب إلياس معوض، منشورات النور، صـ١٢٠.

(٢) المرجع السابق١:٣.

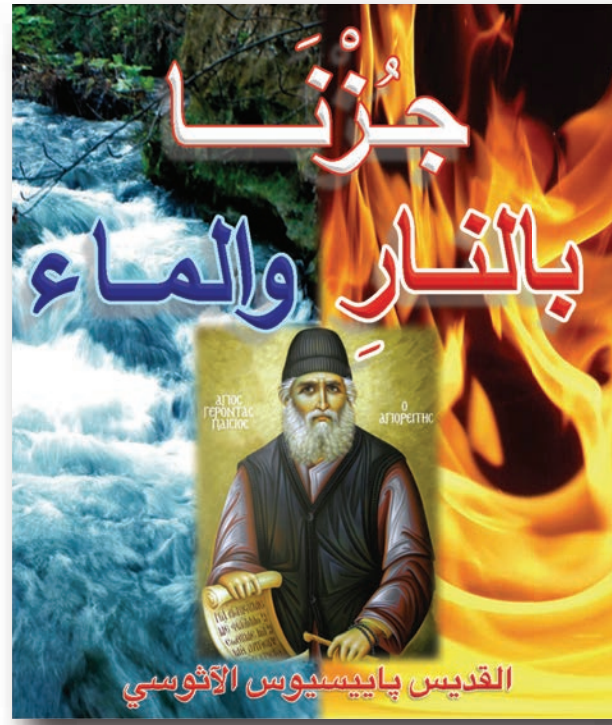

الباب السادس

الحياة بعد الموت

✝ الدَّيْنُونَةُ الآتِيَةُ ✝

✝ يارووندا، في الحياة الأُخرى، هل سيَرى الموجودون في الجحيم أولئك الذين في الفردوس؟

✝ كما أنَّ الموجودين في الخارجِ في الليلِ يشاهدون الجالسين في غرفةٍ مُضاءةٍ، كذلك سيَرى من في الجحيم الموجودينَ في الفردوس. بينما لنْ يستطيع الموجودون في الغرفة المضاءةِ رؤية من في الخارج في الظلام، كذلك لنْ يُشاهدَ الموجودُون في الفردوسِ أولئك الذين في الجحيم. فلو استطاعَ المُخلَّصون رؤيةَ المُدانين في الجحيم، لتألَّموا وَحَزِنوا من أجلهم، ولن يستمتعوا بالفردوسِ، حيثُ «لا وجع ولا حزن ولا تنهّد ...» وهم لن يرونهم فقطْ، بل لنْ يذكروا حتَّى إن كان لديهم أبٌ أو أُمٌّ أو أَخٌ، ما لم يكونوا هم أيضًا في الفردوس. يقول كاتب المزامير: «في ذلك اليوم تَهلكُ جميع أفكاره» (مزمور ١٤٦: ٤). فلو تذكَّروهم، فكيفَ سيكونُ ذلك فردوسًا؟ إضافةً إلى ذلكَ، لنْ يدركَ الموجودُون في الفردوس وجودَ غيرهم، ولنْ يتذكّروا الخطايا التي اقترفوها. لأنَّهم إذا تذكّروا خطاياهم، فلا يحتملونَ، بسببِ تفانيهم، فكرةَ أنَّهم قد أحزنوا الله.

يختلف مقدارُ الفرحِ المُختَبرِ في الفردوسِ من شخصٍ لآخر. فبعضهم قد يفرح بمقدار كشتبان، وغيره بمقدارِ كأسٍ، والآخر بمقدار خَزَّانٍ كامل. لكنهم سيشعرون كُلُّهم بالفرحِ الكامل ولنْ يعرفَ أحدٌ منهم حجم فَرحِ الآخرِ وسُروره. لقد رتَّب الله المُحسِن هذه الأمور، لأنّه لو أدركَ أحدُهم أنَّ غيره يتمتَّع بفرحٍ أكبر منه، لما عادَ ذاك فردوسًا، إذ ستُطرح الأسئلةُ: «لماذا فَرَحُ ذلكَ أعظمُ من فَرحي؟».

يعني هذا الكلامُ أنَّ كُلَّ شَخصٍ في الفردوسِ سيرى مجد الله تبعًا لنَقاوةِ عَينيْ نفسه. فدرجة الرؤية لن يحدّدها اللهُ، بلْ تَتوقَّف على طهارةِ كُلِّ واحدٍ.

✝ يارووندا، لايؤمن البعضُ بوجود الفردوس والجحيم.

✝ ألا يؤمنون بوجود الفردوس والجحيم؟ كيفَ يُمكن أن يبقى الأموات بلا وجودٍ، بما أنَّهم نفوسٌ؟ الله خالدٌ والإنسان كذلك بالنعمةِ. وبالتالي، سيكون الإنسان خالدًا حتَّى في الجحيم. فالنفس تختبرُ الفردوس والجحيم هنا في هذه الحياة، إلى حَدٍّ يتوافقُ مع الحالة الداخلية لكل شخص. فعندما يختبر أحدُهم وخزَ الضمير ويشعر بالخوف، الحزن، القَلقِ، اليأسِ، أو يتملَّكه البُغضُ، الحسدُ وغيرُ ذلكَ، فعندها سيختبرُ الجحيم. لكن، عندما يكونُ أحدهم مُفعمًا بالمحبةِ، الفرحِ، السَّلامِ، اللطافةِ، الدَّماثةِ، وغيرها، فسيختبر الفردوسَ. مِنَ الواضحِ إذًا أنَّ النفسَ هي حجر الأساسِ، فهي التي تختبرُ الفرح والألم. اذهبي إلى إنسانٍ ميْتٍ وأخبريه بأكثر الأمور إثارةً للفرح. قُولي له على سبيل المثال، «أتَى أخوكَ من أمريكا!»، فلن يفهم أو يشعر بأيِّ شيء. ولو كَسَّرتِ ذراعيه أو رِجليه فلن يحسّ بشيءٍ أيضًا. فالنفس هي التي تشعرُ وتفهمُ، ألا يتساءلُ المُشَكِّكون عن ذلك؟ أو لنَفترضْ أنَّكِ شاهدتِ حُلمًا مُفرحًا وجميلًا، فسُرِرتِ وفَرِحَ قلبُكِ بهِ، حتَّى وَدَدْتِ ألَّا ينتهي. لكنَّكِ تستيقظين ويخيبُ ظَنُّكِ عِندها. وقد ترينَ كابوسًا مُزعجًا، تقعين فيه وتكسرينَ رِجلَيْكِ، فتتألَّمين وتُعانين. فتنهضين من النوم، قلقةً باكيةً، وتدركين أنَّكِ بحالٍ جيِّدةٍ وتَقولين: «نشكر الله، لقد كان مجرَّد حُلمٍ!».

بكلمات أخرى، النفسُ هي التي تشتركُ بهذه الأمورِ. قدْ يعاني أحدهم من حُلمٍ مُزعجٍ، أكثر ممَّا يُعاني في الواقعِ، تمامًا كما يتألَّمُ المريضُ في الليل أكثر من النهار. الأمرُ ذاته ينطبقُ على مَن يموتُ ويذهب إلى الجحيم، إذ سيكونُ ذلك اختبارًا أكثر إيلامًا. حاولي أن تتخيَّلي الحياة في كابوسٍ أزليّ ومدَى العذابِ الأبديِّ عندها! يُمكننا هُنا أن نَحتملَ بصعوبةٍ حُلمًا بَشِعًا لمدّةٍ لا تتجاوزُ بضع دقائق. فتخيَّلي إذًا تحمُّلَ ذلك أبديًّا – لا سمح الله – وسط الحزن والأسى! فالأفضلُ ألَّا نذهبَ إلى الجحيم. ماذا تعتقدين؟

✝ يارووندا، نحنُ نجاهدُ منذ وقتٍ طويلٍ لكي لا نذهب إلى الجحيم. فهل تعتقد أنَّنا بالنّهاية سنذهب إلى هناك؟

✝ لو لم يَكُن لدينا عَقلٌ، فسوفَ نذهبُ إلى هناك. وأنا أُصلِّي لكَي نذهبَ كُلُّنا إلى الفردوسِ وأن لا يَذهبَ أحدٌ إلى الجحيم. أليسَ هذا الكلامُ صَائبًا؟ إنَّهُ لأمرٌ محزنٌ أن نذهبَ إلى الجحيم ونُحزنُ الله، بعدَ كُلِّ ما فعله من أجلنا نحنُ البَشَر. فليَحمِ اللهُ الجميعَ، ليسَ البشرَ فقط، بل الخلائق أيضًا، كالطيور وغيرها، من الذهاب إلى الجحيم.

فليهبنا الله الطَّيِّبُ توبةً كاملةً وصادقةً، لكي يَجِدنا الموتُ بحالةٍ روحيّةٍ جَيِّدةٍ، فنثبُت ونقيم في ملكوتهِ السَّماوي، آمين.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

✝ الفصل التاسع ✝

«فَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَمْضِيَ مِنْ تُخُومِهِمْ.» (مر٥:١٧)

«بِبَرَكَةِ الْمُسْتَقِيمِينَ تَعْلُو الْمَدِينَةُ، وَبِفَمِ الأَشْرَارِ تُهْدَمُ .» (امثال ١١:١١)

في بداية السنة الثانية تقريبًا وفي منتصف الشتاء، توفي خريستوفورس ستاماتياديس، أسقف شالكيس. وكان ذلك في الرابع من شهر كانون الثاني. وبما أن مكاريوس أسقف كاريستي كان غائبًا، فقد طُلِبَ من نكتاريوس أن يرأس خدمة الدفن ويقوم برثاء المُتَوفَّى.

وقد أدَّى نكتاريوس هذه المهمة بانسحاق قلبٍ عميق، وبمحبة وبخوف الله. وألقَى موعظة خارجة عن المألوف من حيث الشكل، فبقيت محفورة في القلوب. وخرج الجميع من الكاتدرائية كبارًا وصغارًا وحتى الشيوخ، بنفس متحوّلة، وهم غارقون في أفكار عميقة ويتمتمون: «يا لنكتاريوس هذا، يا لنكتاريوس ...» وفكّر الكثيرون بأنه قد يصبح أسقف شالكيس الجديد. وسقطت هذه الفكرة في أرضٍ خصبة وأزهرت: فتناقلها الناس بسرعة كبيرة، وصار الجميع يتحدثون عنها بحماس. ووصلت إلى الصحف.

إلَّا أن حماس الشعب ومحبته العفوية لهذا الأسقف ورغبته في اختياره ليكون له المرشد والراعي، قد أدّت إلى نتائج سيئة: فحلّ الحزن والمرارة بعد وقتٍ قصير. في البداية حصل حادث مكدّر مع مجلس شؤون المطرانية الشاغرة، بعد عودة نكتاريوس من كزيلوخوري في الصيف التالي. وقد أحزنه هذا الحادث لدرجة أنه قدّم استقالته. إلَّا أنه وجد نفسه مضطرًا للمواجهة مع الأرشمندريت خريسانتوس أنطونياديس الذي كان يصبو إلى الكرسي الأسقفي، مما دفعه إلى بذل كل الجهود الممكنة والتواطؤ، وحياكة المؤامرات ليل نهار للوصول إلى هذا الهدف.

كان هذا الأرشمندريت مديرًا للمدرسة الاكليريكية في شالكيس. وقد استعر غضبه واضطرب، وتأجّج حقده عندما رأى اندفاع الشعب العارم ومحبته لنكتاريوس. فبدأ يكتب في صحيفة L'EURIPE مقالات ودراسات حامية موجّهة ضد الواعظ. في البداية كان يذيّل مقالاته بنجوم ثلاث. وفيما بعد، ونزولًا عند طلب الشعب، صار يوقّع اسمه. وإذ فتّش في القانون الكنسي الأرثوذكسي الشرقي، اكتشف ما يلي: «أولًا:، منعت كنيستنا المقدسة عن طريق مجامعها المقدسة، حقّ انتخاب الأسقف من قِبَل الشعب، لأنها أرادت تجنّب الاضطرابات التي قد تنشأ عن مثل هذه الانتخابات من ناحية، ولأنها قد تؤدّي من ناحية أخرى إلى وصول أشخاص أُمِّيين إلى أعلى منصب في الكنيسة. هؤلاء الذين قال عنهم القديس يوحنا الذهبي الفم: إنهم لا يصلحون سوى لرعاية الحيوانات. كما أنه من غير المسموح أن يترك أحد

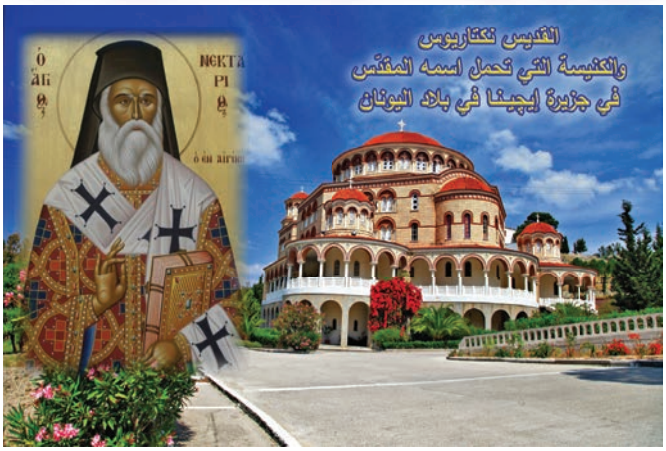

الأساقفة الكنيسة التي أوكلها الله إليه، ليهتم بكنيسة أخرى. الخ ...»

وقد حضر إلى نكتاريوس اثنان أو ثلاثة من الأصدقاء من شالكيس، وجاؤوه بالصحيفة إلى غرفته. فقرأ المقالة المذكورة أعلاه التي كتبها الأرشمندريت الحكيم، بحججها العلمية، وابتسم. لكنه كان قد تلقى ضربة خنجر جديدة في صدره. وبقي متفكرًا لبعض الوقت ثمّ تمتم:

– أنا لم أترك كنيستي.

– نحن نعرف ذلك يا صاحب السيادة. هو الآخر يدينك ظُلمًا ويفتري عليك. حضِّر ردّك عليه وأنّبه. ونحن بانتظار أن تكتب الجواب حالًا لنأخذه معنا، ونجعل الصحيفة تنشره في عددها التالي.

فرفع نكتاريوس نظراته المعبّرة وقال:

– ليجعله الله الرؤوف مستحقًا للدرجة الأسقفية، فهو يبدو نشيطًا ومتعلمًا.

– ماذا تقول يا صاحب السيادة؟ وهل أنتَ جديّ في قولك؟ إذا لم تؤنبه، فماذا يقول الذين يعتمدون عليك، والذين يتعبون ويعملون كثيرًا من أجلك ...

– قد تؤدي رسالتي الجوابية إلى تكدير بطريرك الاسكندرية، وهذا ما لا أريده. أما الربّ فيعرف كل شيء. إنه يعرف أخطاء الجميع.

– طبعًا طبعًا، ولكن في ظلّ الظروف الحالية ...

– لا أهمية لهذا الأمر، فالناس يعبرون، إلَّا أنَّ كلمة الربّ تبقى على مرّ الأجيال. لا تحزنوا يا أصدقائي، فلا بأس عليَّ. لا ، لن أشتكي من كتابات خريسانتوس.

ولكن الله الكليّ القدرة «يفحص الكلى والقلوب»، فإنّ خريسانتوس كان يبذل قصارى جهده للفوز بكرسي شالكيس، حتى إنه لم يوفّر النميمة الكاذبة ضدّ هذا الواعظ المسالم. إنّ خريسانتوس هذا لم يُصبح أسقفًا رغم أنه كان مرشح المجمع المقدّس، كما أنه لم يصبح أسقفًا في أي مكان آخر. وقد سيم مكانه أوجينس ديباستا في أوائل شهر آب.

الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور (٧٦)

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وبكنيسة واحدة جامعة مُقدَّسة رسولية (تتمة)

بناء الكنيسة:

قارَنَ القديس بولس الكنيسة، بمبنَى وبناء، حجر الزاوية فيه هو يسوع (أف٢: ٢٠-٢٢)، والأساس يتكوَّن من الرسل والأنبياء (أف٢: ٢٠) و«الحجارة الكريمة» التي يُقام عليها البناء هم المُؤمنون.

إنَّ صورة الكنيسة كبناء ويسوع حجر الزاوية فيه يُعيد إلى أذهاننا ما قاله منذ زمان واحدٌ من **ملوك أسبارطة**: كان يُظَنّ أنّه لا توجَد أُمّة في العالم لها أسوار مثل أسبارطة، وحدث أن جاء أحد الزائرين إلى اسبارطة فلم يجد فيها أيّة أسوار، فسأل الملك أين الأسوار؟ أشار الملك إلى جماعة من الجنود البواسل وقال: «هؤلاء هم أسوار أسبارطة، وكلّ واحد منهم مثل حجر». هكذا الحال مع كل مسيحي، إنه مدعو ليكون حجرًا حيًّا في بنيان الكنيسة.

قال يسوع في سفر الرؤيا: «مَنْ يَغْلِبُ فَسَأَجْعَلُهُ عَمُودًا فِي هَيْكَلِ إِلهِي» (رؤيا ٣: ١٢). اعتادوا في غابر الزمن عندما ينهي أحد القادة سِني خدمته أن يكرِّموه بأعظم تكريم بأن يُشَيِّدوا عمودًا باسمه في معابد الأوثان. وأحيانًا تكون تلك الأعمدة نحتًا حقيقيًّا للأشخاص الذين يُكَرَّمون كما هو الحال في: «رواق العذارى في الأكروبل». إنّهم كما لو كانوا يَرفعون بالفعل أسوار وسطح الهيكل ويمسكون به. كل واحد منّا مَدعوٌّ ليكون عمودًا حيًّا في كنيسة المسيح، يؤدّي نصيبه الموكولَ إليه ليَرفَع خيمة شهادة الله في العالم.

جسد المسح:

وَضَّحنا سابقًا أن الكنيسة هي شيء أكثر من كونها بناء. إنَّها شعب الله. وكشعب الله، فإننا نُكَوِّن اليوم جسد المسيح النَشِط في العالم. إنَّنا طُعِّمنا بالمعمودية في جسد المسيح وصرنا أعضاءَ له، وبالتناول نحن ننال جسد المسيح ودمه، وهكذا يتكوَّن جسد المسيح: «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ.» (١كو١٠: ١٧). وكما كان المسيح حاضرًا في العالم في جسده الطبيعي لمدة ثلاث وثلاثين سنة، هكذا الآن المسيح يستمر من خلال وجوده فينا، نحن جسده السرّي الذي يسكن فيه، لأننا كما قال الكتاب: «فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ:«إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. لِذلِكَ اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلاَ تَمَسُّوا نَجِسًا فَأَقْبَلَكُمْ، وَأَكُونَ لَكُمْ أَبًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ». (٢كو٦: ١٦-١٨).

هذا يعني أنَّ المسيح يَعتمد على الكنيسة، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: «كم هي محبة المسيح للكنيسة، حتى إنَّه يَعتَبر نفسه كما لو كان غير كامل إن لَمْ يُوَحِّد الكنيسة بشخصه كجسده الخاص».

هذا يعني أننا آلات يعمل المسيح من خلالها في العالم اليوم، وكما كتَبَ الأديب **آني جونسون فلنت**:

«ليس له أيدٍ، ولكن أيادينا تَعمَل معه اليوم. ليسَ له أرجُل، ولكن أقدامنا تهدي الناس إلى طريقه. ليس له صوت، ولكن أصواتنا تُخبر الناس كيف مات. ليسَ له مُعين، ولكن نحن عَونُه لنجذب الناس إلى جانبه».

يقول بعض الناس بعدَ أن يُصابوا بأمراضٍ خطيرة أو تَلِمّ بهم مآسي الحياة: «لستُ أعلَم كيف كنتُ سأتصرَّف بدون الكنيسة». طبعًا إن هؤلاء الناس لا يقصدون مبنى الكنيسة، ولكن جماعة المؤمنين الذين هم جسد المسيح. الكنيسة صارت جسدًا وهؤلاء الناس أصبحوا في حاجة إلى قُوَّتها، كما أنَّ أعضاءها قد ارتبطوا أيضًا ببعض بالصلاة، بالمراسلات عن طريق الخطابات والكروت (الدعوات)، بالزيارات، وهكذا يصير المسيح قادرًا على توصيل التعزية والشفاء من خلال أعضاء جسده. إنَّهم أذرع المسيح التي يمكن للشخص المحتاج إليها أن يتَّكيء عليها. إنَّهم أقدام المسيح التي تزور الذين في حاجة إلى راحة وعزاء. إنّهم صوت المسيح الذي يُعزّي بكلمات الحياة الأبدية. إنَّهم أيدي المسيح التي تَصِل إلى من هو في ساعة احتياج. إن كان هؤلاء الأعضاء كثيرين، إلَّا إنَّهم واحدٌ، جسد المسيح، الكنيسة الخادمة.

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسةَ عشرةَ «... وبالرّوح القدس، المعزّي، الناطق في الأنبياء»

١٠ – جريمة سيمون الساحر:

لماذا حُكِمَ على سيمون السَّاحر؟ أليس لأنه اقترب من الرسولين وقال لهما: «أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هذَا السُّلْطَانَ، حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ» (أعمال ٨:١٩). إنّه لم يقُل: «أعطياني أنا أيضًا أن أشترك في الروح القُدُس، بل السلطان»، لكي يبيع للآخرين هذه الوديعة التي لا تُقدَّر بثمن، ولم يكن هو يملكها. عرض المال على الذين لم يكونوا يملكون شيئًا. إذ هو لما رأى الذين يأتون بأثمان مبيعاتهم ويلقونها عند أقدام الرُّسل، لم يفكّر في أن هؤلاء الذين يدوسون بأقدامهم الأموال المقدسة لإعالة الفقراء، لن يعطوا سلطان الروح القُدُس مقابل المال. ولكن ماذا أجابا سيمون؟ «لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلاَكِ، لأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِيَ مَوْهِبَةَ اللهِ بِدَرَاهِمَ!» (أعمال ٨:٢٠)، لأنّك يهوذا الثاني، إذ ظننت أن تبيع بالنقود نعمة الروح القُدُس. اذا كان سيمون الذي أراد أن يحصل على السلطان بالشراء، قد سُلِّم إلى الهلاك، فكم عظيم كُفر ماني الذي قال عن نفسه إنه الروح القُدُس؟ إننا نكره إذن من يستحقون الكراهية، وننبذ عنا من ينبذهم الله. وسنقول نحن لله بكل ثقة، متحدّثين عن الهراطقة: «أَلَمْ أُبْغِضْ مبغضيك يا ربّ، ألم أمقت مقاوميك؟» (مز ١٣٨:٢١).إنها لعداوة حسنة كما هو مكتوب: «وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا.» (تك ٣:١٥)، لأنّ الصداقة مع الحيّة عداوة مع الله «تولّد الموت» ، «ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا.» (يعقوب ١:١٥).

١١ – العودة إلى الكُتب المقدسة:

هذا ما كان يجب قوله عن المنبوذين. ولكن لنرجع الى الكُتب الإلهيّة، ولنشرب من مياه أحواضنا الآباء، ومن ينبوع آبارنا. لنشرب من الماء الحي «الْمُتَفَجِّرِ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يو ٤:١٤). «قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ» (يو٧:٣٨). إليك ما يقول: «مَنْ آمَنَ بِي،(فكما ورد في الآية إنه يحيلك إلى العهد القديم) كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» (يو٧:٣٨ ؛ أشعياء ٥٥:١-٣) ، لا أنهار مادية تروي الأرض التي تنبت أشواكًا وأشجارًا، بل أنهار تنير النفس. ويقول في موضع آخر: «وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يو٤:١٤). نوع جديد من الماء الحي يتفجّر على مَن يستحقونه.

١٢ – كيف ترمز المياه إلى الروح القُدُس:

ولماذا دعا النعمةَ الروحية ماءً ؟ لأنه من الماء تأخذ جميع الأشياء كيانها: الماء ينبت النبات والحيوان، لأنه من السماء يهطل ماء المطر وينزل بشكل واحد، ولكنه ينتج أشكالًا كثيرة متنوعة. عين واحدة تروي الفردوس كلّه، ومطر واحد يسقي العالم بأسره، فيصير أبيض في الزنبقة، وأحمر في الوردة، وأُرجوانيًّا في البنفسج والياسمين، ويتنوّع بتنوّع الأشكال. وهو في النخلة يختلف عنه في الكرمة وفي كل الأشياء، على أنّ طبيعته واحدة في حدّ ذاتها. فالمطر هو هو لا ينزل تارة بشكل وطورًا بشكل آخر، ولكنه يتكيّف بتكيّف العناصر التي تتقبّله، فيأتي لكل منها ما يلائمه. هكذا الروح القُدُس، فهو واحد بسيط لا يتجزّأ، يوزّع النعمة على كل واحد كما يشاء. وكما أنّ الخشب الجاف، اذا ارتوى بالماء أزهر، كذلك النفس الخاطئة، بنعمة التوبة التي يمنحها الروح القُدُس، تُنبت فروع برٍّ. ومع أنه بسيط، إلّا أنه يأتي بأشياء كثيرة حسنة، بإرادة الله وباسم المسيح: فيستخدم لسان إنسان للحكمة، وينير نفس الآخر في النبوءة ؛ يمنح هذا سلطانًا لطرد الشياطين، ويعطي ذاك هبة تفسير الكُتب الإلهية ؛ يقوّي القناعة في هذا، ويُعلِّم ذاك الرأفة ؛ يعلّم الواحد الصوم والزهد ، والآخر احتقار أفعال الجسد، ويهيء الآخر إلى الاستشهاد. إنه يختلف في الآخرين ويظلّ هو هو في ذاته بدون اختلاف، كما هو مكتوب : «وَأَنْوَاعُ أَعْمَالٍ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. وَلكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ. فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ، وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ، وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ، وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ. وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ.» (١كو ١٢:٦-١١).